مجلة كلية الشيخ الطوسي الجامعة

علمية فصلية محكمة تعنى بالدراسات الإنسانية

السنة الأولى

الرقم الدولي
٩٣٠٨ - ٢٣٠٤

العدد ٣

الرقم الدولي
٩٣٠٨ - ٢٣٠٤

مجلة كلية الشيخ الطوسي الجامعة

علمية فصلية محكمة تعنى بالدراسات الإنسانية

تصدرها كلية الشيخ الطوسي الجامعة ـ النجف الأشرف/ العراق
السنة الأولى، العدد (٣)
(مُحرّم/ صفر ١٤٣٨هـ، تشرين الثاني ٢٠١٦م)

رقم الإيداع في دار الكتب والوثائق ببغداد (٢١٣٥) لسنة ٢٠١٥

جمهورية العراق
وزارة التعليم العالي والبحث العلمي
جهاز الاشراف والتقويم العلمي
قسم التعليم الاهلي

بسم الله الرحمن الرحيم

رقم الكتاب : ج ه/ ٦٤٨٧
التاريخ / ٨ /١١/ ٢٠١٢

كلية الشيخ الطوسي الجامعة

م/ محضر مجلس الكلية بجلسته الثانية للعام الدراسي ٢٠١٢/٢٠١٣
المنعقدة بتاريخ ٢٠١٢/٩/٢٩

تحية طيبة...

الحاقا بكتابنا المرقم ج ه/٦١٠٠ في ٢٠١٢/١١/٥ ، بشان الفقرة (١/١٠/اولا:الشؤون العلمية) من محضر مجلس الكلية بجلسته الثانية للعام الدراسي ٢٠١٢/٢٠١٣ ، نود اعلامكم الى انه بالامكان اعتماد مجلة الكلية لاغراض الترقية العلمية وفق الية اعتماد المجلات الصادرة عن الكليات الاهلية والجمعيات العلمية لاغراض الترقية العلمية والتي يمكن الاطلاع عليها على موقع دائرة البحث والتطوير (www.rddiraq.com)

للتفضل بالاطلاع واتخاذ مايلزم...مع التقدير.

المحاسب القانوني
حيدر محمد درويش
ع/رئيس جهاز الاشراف والتقويم العلمي
٢٠١٢/١١/١٤

نسخة منه الى//
- ✓ مكتب رئيس الجهاز/للتفضل بالاطلاع..مع التقدير.
- ✓ دائرة البحث والتطوير / مذكرتكم ب ت م/١٠٥٤٣/٤ في ٢٠١٢/١١/٨...مع التقدير .
- ✓ جهاز الإشراف والتقويم العلمي/قسم التعليم الاهلي/شعبة المحاضر/ مع الاوليات.
- ✓ الصادرة .

البريد الالكتروني: mhesses @ yahoo.com

رَئِيسُ التَّحْرِيرِ

أ.د. سعد حمد عبد اللطيف

مُدِيرُ التَّحْرِيرِ

أ.م.د. خالد كاظم حميدي

هَيْئَةُ التَّحْرِيرِ

أ.م.د. زهير عبد المجيد الخواجة

أ.م.د. سعدية كريم الخواجة

أ.م.د. فاضل محمد الزبيدي

أ.م.د. عبد الله شاكر الشيباني

التَّصْحِيحُ اللُّغَوِيُّ

د. هاشم جبار الزرفي

الإِشْرَافُ الفَنِّيُّ

السيدة فاطمة محمد صاحب

الإِدَارَةُ المَالِيَّةُ

السيد رائد جاسم محمد

اللجنة الاستشارية

أ.د.حسن عيسى الحكيم:رئيس جامعة الكوفة سابقا/العراق.

أ.د.زهير غازي زاهد:الكلية الإسلامية ـ النجف الأشرف/العراق.

أ.د.سعد عبد العزيز مصلوح:جامعة الكويت/الكويت.

أ.د.عبد القادر فيدوح:جامعة قطر/قطر.

أ.د.حبيب مونسي: جامعة الجيلالي ليابس – سيدي بلعباس/الجزائر.

أ.د.حاكم حبيب الكريطي: جامعة الكوفة/العراق.

أ.د.بشرى البستاني: جامعة الموصل/العراق.

أ.د.أحمد رشراش: جامعة طرابلس/ليبيا.

أ.د.سرور طالبي المل: رئيس مركز جيل البحث العلمي/لبنان.

أ.د.هادي حسين هادي: جامعة الكوفة/العراق.

أ.د.حسن مجيد العبيدي: الجامعة المستنصرية/العراق.

بسم الله الرحمن الرحيم

الافتتاحية:

﴿وَقُلْ اعْمَلُوا فَسَيَرَى اللَّهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُ وَالْمُؤْمِنُونَ﴾

تسعى مجلة كلية الشيخ الطوسي الجامعة إلى التماس خطٍّ تطوريّ بانتقالها من الشعور بوجود مشاكل فكرية إلى الشروع في حلّها، وهو فحوى البحث العلمي،عن طريق التفكير في إيجاد وسائل بحث جديدة لحلّ مشكلات الثقافة العربية الإسلامية، ومنها مشكلة تجديد العلوم العربية القديمة ونقدها بدلا من اجترارها الذي لا يواكب روح العصر وتعقيداته.

إنّ هذه المعطيات هي بحاجة ماسة إلى تضافر الجهود المخلصة عن طريق إثارة الأسئلة واتخاذ الشك العلمي منهجا في التعامل مع العلوم القديمة والعلوم الغربية الوافدة على حدٍّ سواء، ذلك أنّ الركون إلى القديم المألوف وإنْ كان مريحا لا يُسبب لنا الإجهاد إلا أنّه لا يدفع العلم إلى الأمام، أما التزام الوافد بحجة التحديث من دون انتقاء ما ينفعنا بما يلائم ثقافتنا ويُجيب عن أسئلتنا فإنّه يُسبب لنا الفوضى الفكرية المفضية إلى الضياع، ولاسيما مع عدم وجود نظرية ترجمة عربية.

لذلك تفتح مجلة الشيخ الطوسي الجامعة أبوابها أمام الباحثين الذين يؤمنون بأهمية النقد والتجديد والبحث عن البدائل.

أملنا كبير بالأقلام الحرّة التي شجعتنا على ملاحظة خطّ تطور هذا العدد بالقياس إلى العددين السابقين من حيث اتساع صيت المجلة جغرافيا وتنوّع موضوعاتها التي تصدَّت لبعض قضايا العصر.

مدير التحرير

إدارة التّنوُّع الدِينِيّ في القرآن الكريم

أ.م.د. صادق شاكر محمود المخزومي
الكلية التربوية- النجف الأشرف/العراق

إدارة التَّنوُّع الدِينِيّ في القرآن الكريم

أ.م.د. صادق شاكر محمود المخزومي

الكلية التربوية- النجف الأشرف/العراق

ملخص:

تعدّ بلاد العرب والهلال الخصيب بؤرة إشراقيّة للديانات والمعتقدات، فيها تأسست المجتمعات الدينيّة، وعلى ثراها تأصّلت العلاقة الروحيّة بين الناس والله، وتنوَّعت المشارب، وتعددت المذاهب؛ وتحيطها أمم وحضارات دينيّة، حاولت استقطابها بما تتوافر فيها من إمكانات ستراتيجية، جغرافيًّا، وديموغرافيًّا، ودينيًّا؛ فتمازجت معها وتفاعلت في التعايش معها، لكنّها لم تَذُبْ في العقيدة المُهيمنة، بل حافظت على تنوّعها، وكان التنوُّع سِمَةَ الحياة الدينيّة في الشرق. ولما نزلت الرسالة القرآنية على مُحَمَّد (ص) بمكّة، بإحدى صيغ فهم الثقافة وتنوع التراث الديني ﴿اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ﴾، وتعرّض القرآن الكريم الى الديانات التي شَغِلَت عالم العرب من: حنيفيّة، ويهوديّة، ومسيحيّة، ومجوسيّة، وصابئة، ووثنيّة، فوصف تجاربها، وعرَّف بما لديها من حِكْمَة وأحكام، ودعاها الى مائدة الجدل والحوار، ووضعها على المحك بين النظريّة في الحقوق وبين الممارسة والتطبيق. من هنا رشح عنوان "إدارة التَّنوُّع الدِينِيّ في القرآن الكريم"، وجلُّ هدفه التوجه نحو قراءات حقوقيّة لنصوص التراث الديني تستشرف التسامح والتعايش مع الآخر في بيئة متفاعلة متكافئة، تنتج إنسانًا يفعّل أسباب الحياة ويستثمر معطياتها، بدل القراءات القائمة على التعصّب والتشدُّد التي تنتج إنسانًا متسلّطًا، لا يفهم سوى تطبيق عقيدته على الآخر.

Abstract:

The Arab countries and the Fertile Crescent considered center of the illuminationism religions and beliefs, where the religious communities founded, and on its ground the relationship between people and Allah has been rooted, and a variety of beliefs and surrounded by nations and religious civilizations, tried depolarized including available where the potential of the strategy, geographically, demographically and religiously, so overlapped and interacted with them to coexist with them, but did not did not melt down in the strongest religion, and has maintained its diversity, religious diversity was a feature of life in the East. When the Quran was revealed to Muhammad in Mecca, by word "read", the Quran exposure to the religions which found in Arab's world: Abrahamic religion, Judaism, Christianity, Zoroastrianism, the Sabians, idolatry, described her experiences, knew what had wisdom, provisions, put it between the theory of rights and between practice and application. From here nominated title of "religious diversity management in the Holly Quran".

مقدمة:

حَظِيَتْ بلادُ العربِ بألوان التنوُّع: الاجتماعيّ، والثقافيّ، والدينيّ؛ وكانت مكّة سرّة دنيا العرب، وحَوْصَلة التنوّع وقراره، فهي أم القرى ترفد إليها القبائل، ومحطُّ ركاب القوافل، وسوقُ الألسن في الخطاب والشعر،

ومستقرُّ الديانات والآلهة؛ لم تكن قرّشت أهل تهامة فحسب، بل كانت مُجمعة للأجناس واللغات والمعتقدات، فالتنوع يشكل سمات حضارتها، ويفسر إشكاليّة وجودها، في نشأتها وتطورها.

توسَّع شتات المعتقدات على الخارطة الدينيّة، فكانت مكّة على مفترق الطرق، فاصطفاها الله مُنْزلًا للإسلام، خاتم رسالاته، ومكمّل للديانات السماويّة، ومتممً لقيم الأخلاق بين الله والناس. كان ترجمان هذه الحياة المتشابكة، ولسان الدين الجديد، القرآن الكريم، الذي انتقى الحرف الشماليّ واجتبى لغته، وانفرد -عن باقي الكتب الرساليّة- بالتعريف بالمجتمعات التاريخيّة، ودراسة التجارب الدينيّة السابغة في المحيط العربيّ، من: الوثنيّة، والصابئة، والمجوسيّة، واليهودية، والمسيحيّة.

من هنا انبثقت **إشكالية البحث**، وهي: "ماهيّة التنوّع الدينيّ في القرآن الكريم، وكيفيّة إدارتها". لا مناص من أن يتفرع عنها:

فرضيات البحث:

- إنّ القرآن نقل أمَّة من مبتدأ الحضارة الي أوج المدنيّة والدولة، وأعزَّها في اعتماد حرفِها العربي الشماليّ الجميل، وأضحى دستورًا لثاني أكبر الحضارات الدِينِيَّة في العالم.

- التنامي السريع والكبير للإسلام على الخارطة الحضاريّة يُعْزَى الى فرادة القرآن في محاولة فهم التجارب الدِينِيَّة. توظيف الوعيّ التاريخيّ، واستثمار القيم الأخلاقيّة الناتجة عنه في اجتذاب الآخر الدِينِيّ وإقناعه في الشراكة الإيمانيّة، والحاجة للألوهيّة.

- جسّد مقاربة:﴿**لَكُمْ دِينُكُمْ وَلِيَ دِينِ**﴾، في فهم التَّنوّع، على أنّه تعدُّد لا يقبل أن يكون واحدا، ولا يشتمل عليه الواحد، بل ملاكه الاعتراف ببداهة المؤتلف والمختلف في الثقافات والاديان واللغات والتجارب البشرية؛ لتشكل

خارطة طريق يؤطرها التفاعل الاجتماعيّ المتمثل في التسامح مع الآخرين، والتعايش المثمر.

- فعّلَ مقاربة أنّ الدين للجميع، وأنّ:﴿**لاَ إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ**﴾ كمنهاج في إدارة التَّنوُّع الدِّينيّ، إذ تُطَمْئِن الآخر أنْ لا تُصيبه بائِقَةٌ، ولا ضَرر ولا ضِرار.

- أكد في مناداة الآخر فتح حوار صحيّ بين الأديان، تفاديًا للمشكلات الحاصلة نتيجة اختلاف القراءات والتفسيرات، او التَّماس في الممارسات الاجتماعيّة والسياسيّة.

. أهمية البحث:

تكمن في محاولته تفسير الفرضيات ومعالجتها؛ لإثبات الفرادة القرآنيّة في فهم التنوع الديني على مستوى النظريّة وتحويلها الى تطبيق، تجسده سنَّة الرسول مُحَمَّد (ص) :﴿**تَعَالَوْا إِلَى كَلِمَةٍ سَوَاءٍ**﴾، و:﴿**تَعَالَوْا نَدْعُ**﴾.

. مجالات البحث:

تتمثل في: المجال المكاني وهو الأرضيّة التي نزل فيها القرآن، مكّة والمدينة، وما أحاطها من مجتمعات. المجال الزماني عصر الرسالة، مع إنه يهدف الى عصور تليه من ممارسة التنوع. المجال الموضوعي ينحصر في التوجه القرآني الى إدارة التنوع الديني، ولا يدخل فيها معالجات التنوع الاثني والثقافي واللغوي.

. منهجية البحث:

اعتمدت الأسلوب الوصفيّ التاريخي، يتخلله التحليل الدلالي والتفسير للمعاني.

. هدف البحث:

تمثل في التوجه نحو قراءات حقوقيّة للنص الديني تستشرف التسامح والتعايش مع الآخر في بيئة صحيّة متفاعلة متكافئة، تنتج انسانا يفعّل أسباب الحياة ويستثمر معطياتها، بدل القراءات القائمة على التعصّب والتشدُّد التي تنتج إنسانًا متسلّطًا، لا يفهم سوى تطبيق عقيدته على الآخر، متكئًا على أسلوب التكفير والتقتيل أحيانا.

. هيكلة البحث:

اقتضت أن ينقسم على ثلاثة مباحث، درس الأول: التنوع في المفهوم الإسلامي، وعرض الثاني: القرآن والتَّنَوُّع الدِّينيّ، وعرف الثالث بـ: الجدل والحوار بين الأديان في القرآن.

المبحث الأول: التنوّع في المفهوم الإسلامي:

التَّنوّع (Diversity): تعدُّد في بيئة ما لا يقبل أن يكون واحدا، وملاكه الاعتراف ببداهة التعدد والتنوع في الثقافات والاديان واللغات والتجارب البشرية؛ والتَّنوّع - بمنظور علم الاجتماع- هو اطار للتفاعل، تَظهر فيه المجموعات التي تحترم التسامح مع الآخرين، والتعايش المثمر، والتفاعل من دون صراع ومن دون انصهار. أما التَّنوّع الدِينِيّ(Religious Diversity) فهو وجود تفاسير متعددة للتجربة الدِينِيَّة الواحدة، او أن التجارب الدِينِيَّة متنوعة ومتعددة في الاصل، على ان هذا التنوع لا يقبل الاختزال في أمر واحد.

قصَرَتْ الرؤيَةُ الإسلاميَّة "الوحدة" على الذات الإلَهِيَّة وحدِها، وشملت كلَّ المظاهر المخلوقة بالتنوُّع والتعدد، وبحسب "جوفروا Geoffroy"[1] تنبُّع النظريَّة الإسلاميَّة للتعدد من مبدأ منطقيّ، بما أنَّ الله في الإسلام هو الواحد الأحد، فإنَّ كلَّ ما عداه تعالى، أي خلقَه، يحسب على التعدد[2]. أضحى التَّنَوُّع في الخلق والمخلوقات من سنن الله التي لا تبديل

لها، نحو تنوّع القوميّات والاجناس في اختلاف ألْسنتهمْ وألْوانهمْ، وتنوّع الشعوب والقبائل في إطار التعارف بين بني الإنسان، وتنوُّع الشرائع في إطار الإيمان بالألوهيَّة الواحدة والعمل الصالح(٣).

إنَّ مشروعيَّةَ الديانات في الإسلام تنتظم في التوحيد، وإنْ تنوَّعتْ في قِبَال الشرك والوثَنيَّة، من منظور إلَهيّ هو الذي:﴿**شَرَعَ لَكُم مِّنَ الدِّينِ مَا وَصَّى بِهِ نُوحاً وَالَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ وَمَا وَصَّيْنَا بِهِ إِبْرَاهِيمَ وَمُوسَى وَعِيسَى أَنْ أَقِيمُوا الدِّينَ وَلَا تَتَفَرَّقُوا فِيهِ**﴾[سورة الشورى:١٣]. وأنّ الذين اختلفوا في معتقداتهم يجمعهم خيطُ الإيمان والعمل في حياض المصلحة العامة، لتكون محصلتُهم- باتجاه الجزاء والثواب- هي الحسنى:﴿ **إِنَّ الَّذِينَ آمَنُواْ وَالَّذِينَ هَادُواْ وَالنَّصَارَى وَالصَّابِئِينَ مَنْ آمَنَ بِاللّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ وَعَمِلَ صَالِحاً فَلَهُمْ أَجْرُهُمْ عِندَ رَبِّهِمْ وَلاَ خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلاَ هُمْ يَحْزَنُونَ**﴾[سورة البقرة: ٦٢].

في الفكر الدينيّ النَبَويّ، وبخَاصَّة الإسلاميِّ، إنَّ أوَّلَ من غرس بذور التَّنوُّع في العالم هو اللهُ تعالى، الذي أرسل رُسُلًا وأنبياءَ مختلفين، وتجلّى لكل واحد منهم بمظهر خاص، وبعث كلَّ واحد منهم الى مجتمع خاص، ورسم تفسيرا للحقيقة المطلقة في ذهن كل واحد منهم، يختلف عن الآخر(٤).

من يمعن في بيئة النشوء وتاريخ الإنسان وطبيعته، يجد أنَّ العاطفةَ الدينيَّة حاجةٌ لازمتْ الإنسان -عبر مراحل تطوره- في تصوُّر الألوهة، وتلمُّس القوة المقدسة، منذ البرهة الأولى في مُحَاكاة الطبيعة، وتجسُّد إدراكه إياها في الظواهر الطبيعية والإيمان بها، مما أتاح له فكرة تَنوُّع الآلهة بما يتناسب مع حاجاته(٥). وصاحبتها ظاهرة ارسال الله النبوات المُتَعَدِدَة، لأجل ترسيخ الفكر الدينيّ، ومدِّ خيوط التواصل بين الأديان في الطقوس، على نحو يؤسِّس لقوانين التطوُّر الدينيّ والاجتماعيّ.

عُنِيَتْ الديانات التوحيديَّة في الآخر الإنسانيِّ، وجعلته قريبًا الى النفس، وعلى الضفة الأخرى من المعاملة والتقدير، وبالغت في حبِّه الى مرتبة الأيمان.

فمن نصوص التراث الدِينيّ الدالّة على العناية بالآخر في التوراة:﴿**وأحببْ قريبَك حبّك لنفسك**﴾[سفر الاحبار: ١٨/١٩]، وفي الانجيل:﴿**كما تريدون أنْ يعاملَكم الناسُ فكذلك عاملوهم**﴾[لوقا: ٣١/٦؛ متى: ١٢/٧]، وفي الحديث النَبَوِيّ: "**لاَ يُؤْمِنُ أَحَدُكُمْ، حَتَّى يُحِبَّ لِأَخِيهِ مَا يُحِبُّ لِنَفْسِهِ**"(٦).

في ضوء هذه الاستشهادات، التي كثيرا ما يرددها اليهود والمَسيحيّون والمسلمون تجاه الآخر -بحسب آركون- ما هي الا دعاوى استباقيَّة، يحاول أنْ يُبرْهِنَ كلٌ منهم أنّ تراثَه الدِينيّ هو من دشَّنَ احترام الآخر، وأنّه ليس الا نوعًا من التبجيل الإسقاطي العاطفي، فاحترام الآخر كإنسان -بغض النظر عن انتماءاته الدينيَّة أو المذهبيّة- شيء جديد، لا يعرف الًا في عصر الحداثة الفكريَّة والفلسفيَّة التنويريَّة(٧).

على الرغم من أنّ النصَّ التوراتيَّ مختصٌ ببني إسرائيل بحسب السياق(٨)، ومحصِّلة المعنى ظلَّتْ مقصورةً في المَسيحيَّة والإسلام، فانَّ الدينيّن قاما على مبدأ التبشير الى الناس جميعا، وتَلَمُّسِ العالميَّة الدينيَّة، ومن الطبيعي انَّ أيَّ دين لا يرى الا نفسه ومقدَّساته، في ظل ظروف يسوِّغها لصلاحيّته، وهذا ما يدفعه الى الانحصاريّة، وتقييد الآخر، أو إلغائه أحيانا.

غير أنَّ الواقع العمليّ وميدان التعايش الدِينيّ هو المعيار الحقّ، وقد أتيح للأديان التوحيديّة، فأخفقت اليَهُوديّة في تحمل المَسيحيَّة، وجعلتها في نشأتها طرائق قِدَدا، بدأ اضطهاد اليهود للمَسيحيّين منذ أيام يسوع [يوحنا ٩/٢٢]، ودورهم في صَلْبِه [لوقا ٢٢/٢]، ثم يذكر سفر أعمال الرسل اضطهاد اليهود للمَسيحيّين [أع ٨/١-٣]، ولاحقًا قام ذو نواس اليَهُوديّ بقتل المَسيحيّين في اليمن سنة ٥٢٤م(٩).

ولم تحقق المَسيحيَّة -على الرغم من محاولات الامبراطور قسطنطين الأول (٢٨٥- ٣٣٧م) أو الامبراطور جستنيان (٥٢٧- ٥٦٥م)- استيعاب المذاهب المتعددة على أساس المشيئة، وأبعدتها الى أطراف دولة بيزنطا،

وعندما أصبحت المَسيحيَّة دين الإمبراطوريّة الرومانية في مطلع القرن الرابع، أضحى موقف الدولة سيئًا تجاه اليهود، فأخذت المَسيحيَّة باضطهاد اليَهُوديّة، فطرد اليهود أولاً من الإسكندريّة، وعاشوا خلال الإمبراطورية البيزنطية خارج المدن الكبرى(١٠).

أمّا الإسلام فقد استثمر التطور الدِينِيّ والاجتماعيّ، إذ كان قبول الآخر، والاعتراف به وبأنبيائه من سننه، ونجح نجاحا ملحوظًا -في حدود عصره- في التعايش الدِينِيّ وادارته، سواء في المدينة في ضوء النصوص القرآنية التي اكدت حُرِّيّة الدين، ومبادئ وثيقة الرسول مُحَمَّد(ص) ومعاهداته، وما تبعه من تعايش في البلاد المفتوحة في عصر الخلافة.

في الفكر الإسلاميّ، الله يريد للإنسان أنْ يسير في طريق إيمانيّ واحد، رسمه له استناداً إلى حكمته ورحمته وعلمه المحيط بكل شيء، إلا أنّه -وفي الواقع العملي- ترك للإنسان حُرِّيّة القرار، في الانضمام إلى معسكر التوحيد والرسالات الإلَهِيَّة، و السير في ركاب المعتقدات الأخرى. فالتنوّع في هذا المجال واقع وموجود، ولم يشأ الله أنْ يتدخل لإلغائه؛ لأنّه أحد مجالات اختبار الإنسان وإرادته، هذا الاختبار الذي يشكل الهدف الأساس للخلق:﴿**لِكُلٍّ جَعَلْنَا منكُمْ شِرْعَةً وَمِنْهَاجًا وَلَوْ شَاء اللهُ لَجَعَلَكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَلَكِن لِّيَبْلُوَكُمْ فِي مَآ آتَاكُم فَاسْتَبِقُوا الخَيْرَاتِ**﴾[سورة المائدة: ٤٨].

وإذا كان الله الخالق قد شاء عدم التدخل لإكراه الناس على السير في سبيله الرشيد الواضح، فكيف يحق للناس أنْ يجبرَ بعضُهم بعضًا على سلوك الصراط القويم، والإيمان بالحق؟ إذًا، عليهم -كما على الرسل- البلاغ، والهداية، وإراءة الطريق للآخرين، ومساعدتهم على انتخاب سليم في الحياة:﴿ **فَإِنْ أَسْلَمُواْ فَقَدِ اهْتَدَواْ وأنّ تَوَلَّوْاْ فَإِنَّمَا عَلَيْكَ الْبَلاَغُ وَاللّهُ بَصِيرٌ بِالْعِبَادِ**﴾[سورة آل عمران:٢٠].

يرى جمال البنا[11]: إنَّ الإسلام يؤمن بحُرِّيّة الفكر والاعتقاد، وأنّ هذه الحُرِّيّة هي أم التَنَوُّع، أو هي الباب الذي يؤدي إلى التَنَوُّع، إنّ القرآن الكريم يفتح باب حُرِّيّة الاعتقاد على مصراعيه عندما يقرر:﴿**فَمَنْ شَاءَ فَلْيؤْمِنْ وَمَنْ شَاءَ فَلْيكْفُرْ**﴾ ، ويخلص الى أنّ الإيمان والكفر قضيَّة شخصيَّة، لا تهمُّ الا صاحبها، ولا تمسُّ النظام العام[12]. وعندما يُرسَي المبدأ:﴿**لا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ**﴾، وعندما يقيِّد سلطةَ وصلاحية الرسول، فهو ليس حفيظًا على المؤمنين، ولا مسيطرًا، ولا حتى وكيلًا، وليس له سلطة الإكراه والجبر، وإنَّما عليه - فحسب- أن يُبَلِّغَ رسالته، ويَدَعَ الناسَ وما يختارون لأنفسهم؛ إذ إنّ الهداية مرجعها الى الله، وطبقًا لمشيئته،﴿**لَّيْسَ عَلَيْكَ هُدَاهُمْ وَلَـكِنَّ اللّهَ يَهْدِي مَن يَشَاءُ**﴾[سورة البقرة:٢٧٢].

بحسب أرنست ترولتش Ernst Troeltsch: ان التعدّد الثقافيّ يقتضي تعدُّد وحي الله، وتاليًا، فانَّ مدخل الله الى الناس متعدّد بتعدّد ثقافاتهم، او انَّ لكل ثقافة حضاريّة خاصَّة دينًا خاصًّا يرتضيه الله لهم؛ في نهاية المطاف، فإنَّ الله وحده قادرٌ أنْ يقارن بين الأديان؛ لأنَّه هو الذي سمح بتنوّعها[13]. فنرى أنَّ مقاربة "ترولتش" قريبة من الفكر الإسلاميّ، في انَّ تَنَوُّع الأديان شأنٌ إلَهِيّ، وهو الذي بعث الانبياء ودياناتهم تترى، ثم هو الذي له الحق في المقارنة بين الديانات، كما نجده في آيات القران الكريم.

محصلة القول تؤدي الى انَّ التنوع الدِينِيّ ظاهرة طبيعيّة وأصيلة بأصالة المجتمع نفسه، وأنّ التصاق الخصوصيَّة الثقافيَّة والتاريخيَّة والاجْتِمَاعِيّة بأي دين، يعني انَّ التعدد الدِينِيّ هو ظاهرة طبيعية ملازمة للطبيعة الإنْسَانِيّة نفسها، التي اقتضى وجودها على الأرض انْ يكون متنوعًا ومتعددا ومختلفا ومتفاوتا، طالما انَّ التعدد المجتمعيّ والثقافيّ هو السِمَةُ الطبيعيَّة، بل والمنطقيَّة للوجود الانسانيّ[14].

أما جاك ريسلر Jack Ressler[١٥] فيرى: أن الإسلام كان يعترف - بوفاء نادر جداً في تاريخ الأديان- بأنّ الكتب العبرانيَّة أو المَسيحيَّة كانت مُنزّلة، وكان يتقبّل قصص التوراة اليَهُوديّة المَسيحيَّة، وكبرهان على رسالته الإلَهيَّة، يعترف النَّبيّ، ويحتج حتى بالتوافق القائم بين القرآن والتوراة. ومرجعيّة ذلك أنْ تؤمن شريعة الإسلام، ويعتقد المسلمون انّ الأديان كلها تستقي من معين واحد:﴿**شَرَعَ لَكُم مِّنَ الدِّينِ مَا وَصَّى بِهِ نُوحاً وَالَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ وَمَا وَصَّيْنَا بِهِ إِبْرَاهِيمَ وَمُوسَى وَعِيسَى أَنْ أَقِيمُوا الدِّينَ وَلَا تَتَفَرَّقُوا فِيهِ...**﴾ [سورة الشورى:١٣].

يحترم الإسلام التَّنوُّع النَبَويّ، وما بزغ عنه من أَدْيَان متنوعة، ما زالت محصلتها وكلمتها السواء وحدانيّة الألوهة. وتؤكد الشّريعَة فيه انَّ الأنبياء أخوة، لا تفاضل بينهم من حيث الرسالة، وأنّ على المسلمين أنْ يؤمنوا بهم جميعًا، إيمانهم بالنَّبيّ مُحَمَّد(ص)، ولا يفرقون بينهم: ﴿**قُولُواْ آمَنَّا بِاللّهِ وَمَا أُنزِلَ إِلَيْنَا وَمَا أُنزِلَ إِلَى إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَالأسْبَاطِ وَمَا أُوتِيَ مُوسَى وَعِيسَى وَمَا أُوتِيَ النَّبِيُّونَ مِن رَّبِّهِمْ لاَ نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّنْهُمْ وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ**﴾[سورة البقرة:١٣٦]. وبصيغة أخرى على سبيل الحكاية:﴿**آمَنَ الرَّسُولُ بِمَا أُنزِلَ إِلَيْهِ مِن رَّبِّهِ وَالْمُؤْمِنُونَ كُلٌّ آمَنَ بِاللّهِ وَمَلآئِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ لاَ نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّن رُّسُلِهِ**﴾[سورة البقرة:٢٨٥].

أكّدت الصُوفيَّة –من دون غيرها من المذاهب- تجليّات التَّنوُّع في المسار الواحد، فكان جلال الدين الرومي يقول:" المصابيح مختلفة، ولكن الضوء واحد"، غير أنّ المَعْلَمَ أَلمَحَ اليه القرآن بارتقاء، فقد ذكر أنّ في كتب الله المنزلة التوراة والإنجيل والقرآن، هدى ونورا مقدّسًا، مع وجود فوارق تميّز أحدهم من الآخر. من هنا، يجد العلم أنَّ الصوفيين حاولوا جادين توضيح حقيقة أنَّ هناك اختلافات بين الأديان التي أنزلت من السماء، مع تمييز واضح بين الظاهر والباطن فيها. فإن الاختلافات بينها ظاهريّة، أما الباطن فواحد. غير

أنّهم لم يعدموا حُرِّيّة الإختيار الدِينِيّ، في وقت ألزموا أنفسهم باتباع وصايا القانون الإسلاميّ[١٦].

كفلت الشّريعَة الإسلاميَّة الحُرِّيّة في إبداء الرأي، والسماع للرأي المخالف، مع توفير أجواء المجادلة مع الديانات الأخرى، على الأساس الفكريّ والمنطقيّ في مقارعة الحجج والبراهين:﴿**أَمِ اتَّخَذُوا مِن دُونِهِ آلِهَةً قُلْ هَاتُوا بُرْهَانَكُمْ**﴾[سورة الأنبياء: ٢٤].

شهد أتباع الديانات الأخرى، ولَاسِيّمَا أهل الكتاب في المجتمعات الإسلاميَّة، عناية طيبة، فأنّهُمْ نعموا في ظل الإسلام بالرخاء، والأمن والسلامة، فقد رسم القرآن وأحاديث الرسول خارطة الطريق للمسلمين في معاملتهم بالحسنى، وأنّ يكونوا معهم بَرَرَةً وعُدولا:﴿**لَا يَنْهَاكُمُ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ لَمْ يُقَاتِلُوكُمْ فِي الدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوكُم مِّن دِيَارِكُمْ أَن تَبَرُّوهُمْ وَتُقْسِطُوا إِلَيْهِمْ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ**﴾[سورة الممتحنة:٨].

يبيح الإسلام للمسلمين أنْ يُؤَاكلوا غير المسلمين من أهل الكتاب، وأنّ يصاهروهم:﴿**وَطَعَامُ الَّذِينَ أُوتُواْ الْكِتَابَ حِلٌّ لَّكُمْ وَطَعَامُكُمْ حِلٌّ لَّهُمْ وَالْمُحْصَنَاتُ مِنَ الْمُؤْمِنَاتِ وَالْمُحْصَنَاتُ مِنَ الَّذِينَ أُوتُواْ الْكِتَابَ مِن قَبْلِكُمْ**﴾[سورة المائدة:٥]. ولا شكّ في أنَّ المصاهرةَ تخلقُ امتزاجا بين هؤلاء وأولئك، فأخوال الأولاد سيصبحون من أهل الكتاب، وفي هذا رباط كبير، وتأصيل في العلاقات، أباحه الله بين المسلمين وغيرهم، مما يدل على أن الإسلام دين الإِنْسَانِيّة[١٧].

ومن تسامح الإسلام مع أهل الكتاب: أنَّه أباح لهم ما أباحته لهم أديانهم، وإنْ حرّمها الإسلام على المسلمين، فليس هناك من حرج على أهل الكتاب أنْ يشربوا الخمر، أو يأكلوا لحم الخنزير[١٨]. وقد يدخل الابن الإسلام، ويظل الأب على غير دين، وهنا يدعو الإسلام الابن أنْ يظلَّ طيب

الصحبة مع أبيه مع اختلاف الدين[١٩]، ﴿**وأنّ جَاهَدَاكَ عَلى أن تُشْرِكَ بِي مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ فَلَا تُطِعْهُمَا وَصَاحِبْهُمَا فِي الدُّنْيَا مَعْرُوفاً**﴾[سورة لقمان:١٥].

وقد أملَ المسلمون انْ يساعد اليهود الإسلام على الوَثَنِيَّة، وأنّ يقفوا منه موقف ودٍّ أو حياد، ذلك بأنّهُمْ أصحاب كتبُ منزلة ودين توحيد، والإسلام قريب منهم، وقد اعترف بالأديان السابقة له، ونزّه الأنبياء والمرسلين، وهو دين توحيد كذلك. ثمَّ إنَّ الرسول تودَّد إليهم حين دخوله يثرب، وآمنهم على أموالهم وأنفسهم، وزارهم، وطمْأنَهم، ثم تعاهد معهم في صحائف كتبت لهم، فيها العهد بالوفاء لّما اشترط لهم، ما داموا موفين بالوعْدِ وبالعهد، وقد طلب إلى جميع المسلمين الوفاء بما جاء فيها، ومنعوا من التجاوز والتطاول على من في يثرب من يهود[٢٠]، وجعل لليهود نصيبًا في المغنم إذا قاتلوا مع المسلمين، و شرط عليهم النفقة معهم في الحروب[٢١].

ولم تكنْ علاقاتُ اليهود مع المسلمين سيئةً في الأيام الأولى من مجيء الرسول إلى يثرب. فقد رأت جمهرة يهود انَّ الإسلام دين اعترف بالأنبياء، وأنّه دين توحيد، وأنّه في جملة أحكامه قريب من أحكام ديانتهم وقواعدهم، وأنّه يناهض الأوثان، وقد أشاد بفضل بني اسرائيل وبتفوقهم على غيرهم بظهور الأنبياء من بينهم، ثم إنّ قبلته إلى القدس، وصيامه قريب من صيامهم، وقد تسامح معهم، فأباح للمسلمين طعام أهل الكتاب[٢٢].

وهو دين اعترف بأبوة ابراهيم للعرب والديانات الكتابيَّة، وجعل سنّته شرعةً للمسلمين. وقد تسامح مع اليهود، وحفظ ذممهم، فلم ترَ في انتشاره بين أهل يثرب ما يضيرهم شيئاً، أو يلحق بهم أذى؛ ولذلك أظهرت استعدادها لعقد حلف سياسيّ معه، ووقوفها موقف ودٍّ منه، أو موقف حياد على الأقل، على ألّا يطلب منها تغيير دينها وتبديله والدخول في الإسلام.

ولما دخل أهل يثرب في الإسلام أفواجاً، وتوجه المسلمون إلى اليهود يدعونهم إلى الدخول فيه، والى مشاركتهم لهم في عقيدتهم، على وصف أنّهُمْ

أهل دين، يقول بالوحي ويؤمن بالتوراة، وبرسالة الرسل؛ فهم لذلك أولى بقبول هذه الدعوة من الوثنيين، وأدركت جمهرتهم أنّ الإسلام إذا ما استمر- على هذا المنوال- في المدينة من التوسع والانتشار، ومن توجيه دعوته إلى اليهود أيضاً، فسيقضي على عقيدتهم التي ورثوها. وهي عقيدة لا تعترف بقيام نبيّ من غير بني اسرائيل، ولا بكتب غير التوراة والكتب التي دوّنها علماؤهم، ثم هم يرون: انَّ النبوة قد خُتمت، ولن يكون المسيح إلا منهم؛ فكيف يعتقدون بنبي عَرَبِيّ؟ وهو من الأميّين.

هكذا رفض اليهود الدخول في الإسلام، وأَبَوْا تغييرَ دينهم، ودافعوا عن عقيدتهم، وتمسّكوا بها، ورفضوا التسليم بما جاء في الرسالة الجديدة، من أن الرسول نبيٌّ أرسل للعالمين كافّة، وأنّه خاتم الأنبياء والمرسلين، وأنّ القرآن كتاب مصدّق من الله، وأنّ أحكامه مؤيّدة لما جاء في التوراة ناسخة لبعضها. وقد جادلوا في ذلك، وانبرى أحبارهم للدفاع عن عقيدتهم، ولمجادلة من يأتي إليهم من المسلمين، لإقناعهم في الدخول في الإسلام. وفي القرآن الكريم صور من جدلهم هذا، ومن محاجّتهم الرسول في دعوته[٢٣]، و نجد مثل ذلك في الحديث النَبَوِيّ، وفي كتب السير[٢٤].

بحسب جون هيك (John Hick)[٢٥] ان التَّنَوُّع في الإسلام نابع عن "اعتقاد راسخ بأنّ مُحَمَّداً هو خاتم الأنبياء، وأنّ الله كشف في القرآن: انّ الإسلام هو الدين الأكمل والأصحّ، وهو المتمّم لجميع الديانات السَّماويَّة السابقة، ولهذا، فإنّ المسلم يتعامل تعاملًا وديًّا مع أولئك المعتقدين بالاعتقادات الإبراهيميّة، بل وتتسع نظرته أحيانًا، لتستوعب كل أهل الكتاب، حتى أولئك الذين يواجهون المقدس من أنصار الهندوسيَّة والكونفوشيوسيَّة والطاويّة، وكذلك الكتب المقدسة لليهود والمَسيحيّين، أي انّه يختزن احساسًا متدفقًا للوحدة الفريدة، وعن طريق الوحي القرآنيّ نفسه"[٢٦].

إذًا إنَّ الإسلام ليس دينا منفصلًا، أوقع قطيعة مع باقي الأديان، بل هو دين النبوّات التي استكملت حركتها، منذ بدء تاريخ البشريّة ببعثة نبي الرحمة والهدى والعلم والتزكية، رسول الله مُحَمَّد(ص)، وإنَّه دين يؤمن بالأنبياء، ولا يفرّق بين أحدٍ منهم، وإنْ كان يحدد أفضل الأنبياء من أُولي العزم، وهم نوح الذي عدّ التأسيس الثاني بعد آدم لتاريخ المخلوقات الحيّة، وإبراهيم مفصَل حركة النبوّات، أو بدقة أكثر الرسالات العالمية الكبرى الجامعة، التي ختمت برسالة النَّبيّ مُحَمَّد... وموسى قائد رسالة المستضعفين، وحامي قواعدهم في وجه عُتاة الأرض من الفراعنة المتألِّهين، وعيسى كلمة الله، وقول الحق الناشر لألوية المحبَّة، والتوق للقاء الله سبحانه. وآخرهم بل خاتمهم النَّبيّ مُحَمَّد الذي جمع غايات الأنبياء، فكان المطمح فيها ليكون المَسُّ بأيّ نبيّ هو مسٌّ بمُحَمَّد، و أن المسّ بمُحَمَّد هو مسّ بكل نبي ورسول.

ولعل هذا الفهم الإيماني يسمح ببناء جبهة إيمان كبرى، تهدف لإقامة الصلاح في مكامن الحياة وأُطرها، في انتظامات البشر، وقيمهم الأخلاقيّة والروحيّة والمجتمعيّة العامة، ولا شك في أنَّها هي المساحة المفتوحة لكل حوار دينيّ مدعوّ إليه أهل الإسلام والمَسيحيَّة[٢٧]. وحول هذا ما ورد في قوله:﴿**إِنَّ الَّذِينَ آمَنُواْ وَالَّذِينَ هَادُواْ وَالنَّصَارَى وَالصَّابِئِينَ مَنْ آمَنَ بِاللّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ وَعَمِلَ صَالِحاً فَلَهُمْ أَجْرُهُمْ عِندَ رَبِّهِمْ، وَلاَ خَوْفٌ عَلَيْهِمْ، وَلاَ هُمْ يَحْزَنُونَ**﴾[سورة البقرة:٦٢].

المبحث الثاني: القرآن والتَّنَوُّع الدِّينيّ:

القرآن الكريم كتاب الله المنزل على الرسول مُحَمَّد(ص)، وهو أول الكتب السَّماويَّة يستشرف الأديان الأخرى، ويفصل فيها، ويُبدي رأيَه المنبثق من المفهوم الدِينيّ للإسلام، به أُكمِلَت الأديان، وإليه مرجع تراث العبادة الحنيفيّة منذ إبراهيم، فهو حاضنة الأديان ومحتواها العباديّ.

والقرآن مصدر تشريعيّ تكتنفه المعارف التاريخيّة، فيه خلاصة لأهم التجارب الدينيّة النبويّة، وتوصيف للحاضنات التي نشأتْ فيها؛ و إنَّه يرمز الى ماهيّة الوحي، والظروف التي حفَّت ببدئه وتواصله؛ وكثيرا ما اتخذ القرآن أسلوب المحاجّة والإقناع، ومن ثمَّ عُني - بصفة بالغة- بوصف مصداقيّة العلاقة الإلَهيَّة النَبويّة، ولَاسيّمَا عندما تتخذ صيغة التبليغ، وصيغة الأمر والنهي، والتعليم[٢٨]؛ لتمتد جذوة العلاقة الى الناس، وهم خلائفُ في الأرض، وهم مختلفون في مشارب عدّة، لكن شريطة أن يتعارفوا، ويُنشئوا علائق في نظام أخلاقيّ، معياره الإيمان بالله.

القرآن أول كتاب عُني بالديانات الأخرى، إذ أحصى الأديان المشهورة التي عليها الناس سواء كانت سماوية أم أرضية: ﴿**إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَالَّذِينَ هَادُوا وَالصَّابِئِينَ وَالنَّصَارَى وَالْمَجُوسَ وَالَّذِينَ أَشْرَكُوا إِنَّ اللَّهَ يَفْصِلُ بَيْنَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ**﴾[سورة الحج:١٧]. فأديان البشر في محيط الإسلام الأول، لا تخرج عن واحد من هذه، وهي: الإسلام، واليَهُودِيّة، والصابئة، والنصرانيّة، والمجوسيّة، والوَثَنِيَّة. وجميعها وضعها في بودقة العبادة، ومن ثم لم يجعل الفيصل في تقويمها بيد الإنسان، الذي لا بد ان يغلِّب انتماءه الى واحد منها، وأبقى الفصل بيد الله مُرْجأً الى يوم القيامة.

لعلّ ذِكْرَ الصابئة في القرآن الكريم في ثلاث سور: [سورة البقرة:٦٢، وسورة المائدة: ٦٩، وسورة الحج:٧]، ووضعهم في صف الديانات النَبويّة، يؤكِّد وجود المشترك الإيماني معها بوحدانيّة الألوهة ويوم القيامة والعمل:﴿**إِنَّ الَّذِينَ آمَنُواْ وَالَّذِينَ هَادُواْ وَالنَّصَارَى وَالصَّابِئِينَ مَنْ آمَنَ بِاللّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ وَعَمِلَ صَالِحاً فَلَهُمْ أَجْرُهُمْ عِندَ رَبِّهِمْ وَلاَ خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلاَ هُمْ يَحْزَنُونَ**﴾[سورة البقرة:٦٢].

جدير بالعلم إنَّ القرآن نفسَه يُعدّ من أكبر مصادر التَنَوُّع، أو قُلْ إنَّه الأصل في التَنَوُّع الإسلامي[٢٩]. وكانت روحيّة القرآن تنظّم السلوك اليوميّ

والعلاقات الاجْتِمَاعِيّة، وتشبع جوًّا حيويًّا بربطها الشّريعَة الدِينيَّة بالأخلاق. بحسب "ريسلر"[٣٠] أنه يهدف الى استتباب النظام والوحدة الاجْتِمَاعِيّة، والى الحَدِّ من البؤس والقسوة والشعوذات، وأنّه ينزع الى رفع البسطاء، ويُقيم ملكوتَ الإحسان، ويدعو الى اللاعنف. من آياته التي تدعو الى صهر الإيمان الدِينِيّ والسلوك الاجْتِمَاعِيّ في محصّلة التسامي، الجامعة لقيم الحقّ، وقيم الخير، وقيم المعرفة الدينيّة، قوله تعالى: ﴿**لَّيْسَ الْبِرَّ أَن تُوَلُّواْ وُجُوهَكُمْ قِبَلَ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ وَلَـكِنَّ الْبِرَّ مَنْ آمَنَ بِاللّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ وَالْمَلآئِكَةِ وَالْكِتَابِ وَالنَّبِيِّينَ وَآتَى الْمَالَ عَلَى حُبِّهِ ذَوِي الْقُرْبَى وَالْيَتَامَى وَالْمَسَاكِينَ وَابْنَ السَّبِيلِ وَالسَّآئِلِينَ وَفِي الرِّقَابِ وَأَقَامَ الصَّلاةَ وَآتَى الزَّكَاةَ وَالْمُوفُونَ بِعَهْدِهِمْ إِذَا عَاهَدُواْ وَالصَّابِرِينَ فِي الْبَأْسَاء والضَّرَّاء وَحِينَ الْبَأْسِ أُولَـئِكَ الَّذِينَ صَدَقُوا وَأُولَـئِكَ هُمُ الْمُتَّقُونَ**﴾[سورة البقرة:١٧٧].

يؤكد القرآن أن النَّبِيّ مُحَمَّد يقرّ بالإيمان، وانَّ الأنبياء أخوة، لا تفاضل بينهم من حيث الرسالة، وأنّ على المسلمين أنْ يؤمنوا بهم جميعا قال تعالى:﴿**قُلْ آمَنَّا بِاللّهِ وَمَا أُنزِلَ عَلَيْنَا وَمَا أُنزِلَ عَلَى إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَالأَسْبَاطِ وَمَا أُوتِيَ مُوسَى وَعِيسَى وَالنَّبِيُّونَ مِن رَّبِّهِمْ لاَ نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّنْهُمْ وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ**﴾[سورة آل عمران:٨٤].

من باب الإقرار بالتَنوُّع الدِّينيّ في مساره التاريخي، عُني الإسلام وتراثه بالتجارب الدِينيَّة النَبويّة، فعدد الأنبياء في الروايات عن الرسول مُحَمَّد ١٢٤ ألف نبي[٣١]، والمذكورون منهم في القرآن ٢٥ نبيًا ورسولًا، منهم ١٨ نبيًّا في سورة الأنعام[٣٢]، وحظَت الديانات الكتابيَّة بعناية كبيرة، فورد لفظ "أهل الكتاب" في أكثر من ٣٠ آية.

اليهود واليَهُودِيّة كان لها السهم الأوفر في الذكر القرآني، فقد تعرض لها منذ قبل عصر التكوين الى مجيء المنقذ "المسيا" (المسيح)، ونقل أخبارهم وذكرهم في نيف وثمانين آية[٣٣]، وحسبك انه ورد ذكر موسى من دون

انبيائهم حوالي ١٣١ مرة، منها ١٠٩ مرات في آيات مكيّة، كان اغلبها في سرد قصص موسى، التي تُلقي الضوء على حضارة الديانة اليَهُوديّة، وكان القرآن يصف التوراة بأنّه حمّال الحكم العادل: ﴿**وَكَيْفَ يُحَكِّمُونَكَ وَعِندَهُمُ التَّوْرَاةُ فِيهَا حُكْمُ اللّهِ**﴾[سورة المائدة: ٤٣] ، وفيه موعظة وهدى إلَهيّ: ﴿**إِنَّا أَنزَلْنَا التَّوْرَاةَ فِيهَا هُدًى وَنُورٌ يَحْكُمُ بِهَا النَّبِيُّونَ الَّذِينَ أَسْلَمُواْ لِلَّذِينَ هَادُواْ وَالرَّبَّانِيُّونَ وَالأَحْبَارُ بِمَا اسْتُحْفِظُواْ مِن كِتَابِ اللّهِ وَكَانُواْ عَلَيْهِ شُهَدَاء**﴾[سورة المائدة:٤٤].

بيد ان القرآن المكيّ أسّس روح المشاركة بين الديانات النبويّة، بإقرار السابق منها باللاحق، وذكر الأخير في كتب من قبله، ليس من شك في أنّ ﴿**الرَّسُولَ النَّبِيَّ الأُمِّيَّ الَّذِي يَجِدُونَهُ مَكْتُوباً عِندَهُمْ فِي التَّوْرَاةِ وَالإِنْجِيلِ**﴾[سورة الأعراف:١٥٧]، يساعد طرفي المعادلة على تقبُّل الآخر، نفسيًّا وعلى أرض الواقع، وأنّه أمر إلهيٌّ مكتوب عليهم.

في آخر الآيات التي نزلت بمَكّة دعا الى الحوار الشفاف مع أهل الكتاب، والتركيز على المشتركات العقديّة التي ينتظمون فيها مع الإسلام، كأنّه يعدُّ الى نقطة تحول جديدة، يهيئ النفوس لمرحلة التعايش بين المسلمين وبين أهل الكتاب، وقبول الآخر في يثرب، على أساس من المشتركات الإيمانيّة، ممتزجة بالدعوة الى تقديم أحسن ما يمكن في الخطاب، للوصول الى نتائج طيبة من الإقناع قال تعالى ﴿**وَلَا تُجَادِلُوا أَهْلَ الْكِتَابِ إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِلَّا الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْهُمْ وَقُولُوا آمَنَّا بِالَّذِي أُنزِلَ إِلَيْنَا وَأُنزِلَ إِلَيْكُمْ وَإِلَهُنَا وَإِلَهُكُمْ وَاحِدٌ وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ**﴾[سورة العنكبوت:٤٦].

وتشترك اليَهُودِيّة مع الإسلام في الأصول الثلاث: التوحيد، النبوة، المعاد. وفي بعض الأحكام، وحتى أن أسماء بعض الملائكة، نحو: جبرائيل، ميكائيل، وردت بالعبرية في القرآن الكريم(٣٤).

لَمّا ازداد التنافس بين سادات يهود، وأدى إلى نشوب معارك بينهم في الجاهلية، أشار اليها القرآن الكريم، وأنّبهم على ذلك. وعليه اضطُرَّ بنو قينقاع بسبب ذلك، وبضغط من بني النضير وبني قريظة الى الالتجاء إلى بعض أحياء يثرب، أي الى محالفة الخزرج، وفي مقابل ذلك تحالفت بنو النضير وبنو قريظة مع الأوس، فصاروا فرقتين: فرقة مع الخزرج، وفرقة مع الأوس، يظاهر كل من الفريقين حلفاءه على إخوانه حتى يتسافكوا دماءهم بينهم[٣٥].

في تأنيب اليهود، لتخاصمهم وتنابذهم، وإخراجهم بعضهم بعضاً من ديارهم، وأسْر بعضهم بعضاً، وافتداء الأسرى كالذي وقع بين بني قينقاع وبني النضير، نزل الوحي: ﴿**وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَاقَكُمْ لاَ تَسْفِكُونَ دِمَاءكُمْ وَلاَ تُخْرِجُونَ أَنفُسَكُم مِّن دِيَارِكُمْ ثُمَّ أَقْرَرْتُمْ وَأَنتُمْ تَشْهَدُونَ، ثُمَّ أَنتُمْ هَـؤُلاء تَقْتُلُونَ أَنفُسَكُمْ وَتُخْرِجُونَ فَرِيقاً مِّنكُم مِّن دِيَارِهِمْ تَظَاهَرُونَ عَلَيْهِم بِالإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ وَإِنْ يَأْتُوكُمْ أُسَارَى تُفَادُوهُمْ وَهُوَ مُحَرَّمٌ عَلَيْكُمْ إِخْرَاجُهُمْ أَفَتُؤْمِنُونَ بِبَعْضِ الْكِتَابِ وَتَكْفُرُونَ بِبَعْضٍ**﴾[سورة البقرة: ٨٤-٨٥]. أنّبهُمْ لأَنّهُمْ فعلوا فعل المشركين والأعراب، مع أَنّهُمْ أهل دين واحد وكتاب. أما المشركون فلا لوم عليهم، لأَنّهُمْ لم يكونوا على دين، وليس لهم كتاب يأمرهم وينهاهم[٣٦]. وحينما نقض اليهود مواثيق صحيفة المدينة، التي عدّت "اليهود أمّة مع المؤمنين"، سعوا الى وثنيّ مَكّة، يؤلبونهم على حرب المسلمين أحلافهم في المدينة، وخاض اليهود معهم في حوار، فضّلوا فيه دين الوَثَنِيَّة على دين الإسلام، وقالوا لهم:" بل دينكم خير من دينه (مُحَمَّد)، فأنتم أولى بالحق"؛ وغضّوا الطَّرف عن كونهم من الموحدين، ونبّه القرآن الى هذه الظاهرة السلبيّة لدن اليهود ﴿**أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ أُوتُواْ نَصِيباً مِّنَ الْكِتَابِ يُؤْمِنُونَ بِالْجِبْتِ وَالطَّاغُوتِ وَيَقُولُونَ لِلَّذِينَ كَفَرُواْ هَؤُلاء أَهْدَى مِنَ الَّذِينَ آمَنُواْ سَبِيلاً**﴾[سورة النساء:٥١]. وقد عاب عليهم هذا المسلك المؤرخ اليَهُودِيّ ولفنسون[٣٧]:"ما

كان يجوز لهم أنْ يُصَرِّحوا أمام زعماء الشرك بأنَّ عبادةَ الأصنام أفضلُ من التوحيد الإسلامي، ولو أدى بهم الأمر الى عدم إجابة مطلبهم".

لم أجد أمّة من الأمم السابقة، تناول القرآن تفصيل نشأتها، وتأريخ تكوينها، وبيان أحوالها، ودقائقها، ودخائل نفوس أفرادها، وخصائص شخصيتها، مثلَ أمَّة اليهود. إذ يستمر الحديث عنهم في نيف وثمانين آية، فأول سورة بعد الفاتحة سورة البقرة، وهي بقرة بني إسرائيل، وتأتي الثانية سورة آل عمران، أسرة من أسر بني إسرائيل. والسورة الرابعة المائدة، وهي المائدة التي طلبها بنو إسرائيل، وخصصت سورة باسمهم هي سورة الإسراء التي تسمى سورة بني إسرائيل"[٣٨]. وأطال القرآن الوقوف على أخبارهم وقصص انبيائهم، ابتداء بامتدادهم، حنيفيَّة إبراهيم واسحاق ويعقوب، فيوسف بن يعقوب، وانتهاء بالمسيح بن مريم، غير أن موسى ورسالته حازت مساحة أكبر في أخبار بني اسرائيل[٣٩]، فهو المنقذ الذي بعثه الله لهم في مصر، وأنزل عليه التوراة.

سمَّى القران مقدسات الديانات الأخرى بأسمائها، وأطلق على أسفار اليهود، أي كتبهم المقدسة "التوراة."[٤٠]" وقد أوردها ١٦ مرة[٤١]، ووردت كلمة " توراة " في العبرية أكثر من ٢٢٠ مرة في العهد القديم، وفي اغلب الأحوال ترجمت إلى "الناموس"[٤٢]، ولكنها وردت بضع مرات بلفظ "توراة"[٤٣] وعرفت بهذه التسمية في الحديث وفي كتب التفسير، وصارت علَمًا لها في الإسلام. كذلك أطلقت هذه اللفظة على معابد اليهود، ولم يعرف ورودها في الشعر الجاهلي خلا بيتًا ينسب إلى شاعر جاهلي يَهُودِيّ اسمه "سمال[٤٤] :

وكانوا الدارسين لكل علم به التوراة تنطق والزبور[٤٥]

التوراة في القرآن كتاب منزل من الله على موسى، وسِفْرٌ فيه هُدًى وَنُورٌ يَحْكُمُ بِه النَّبِيّونَ بعده [سورة المائدة: ٤٤]، وَمُصَدّق لِّمَا بَيْنَ يَدَيهم [سورة آل عمران: ٥٠]، ودعا القرآن بني اسرائيل الى الالتزام بأحكام كتبهم ﴿**قُلْ يَا أَهْلَ**

الْكِتَابِ لَسْتُمْ عَلَى شَيْءٍ حَتَّىَ تُقِيمُواْ التَّوْرَاةَ وَالإِنجِيلَ وَمَا أُنزِلَ إِلَيْكُم مِّن رَّبِّكُمْ﴾[سورة المائدة:٦٨]، وجاء القرآن مصدقا للتوراة كواحد مما سبقه من الكتب السَّماويَّة، وألزم المسلمين الإيمان بها.

كان اليهود على رأس من اشتملهم لفظ "أهل الكتاب"، التي ذكرها القرآن (٣١) مرة، كما ورد لفظ "يهود" في القرآن (٨) مرات[٤٦]، وبلفظ "بني إسرائيل" (٤٠) مرة[٤٧]، يطلعنا القرآن بأنَّ الله فضل أنبياء بني اسرائيل على غيرهم من الانبياء ﴿**وَلَقَدْ فَضَّلْنَا بَعْضَ النَّبِيِّينَ عَلَى بَعْضٍ وَآتَيْنَا دَاوُودَ زَبُوراً**﴾[سورة الإسراء:٥٥]، وخصّ موسى بوافر التفضيل، فهو كليم الله ﴿**تِلْكَ الرُّسُلُ فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَى بَعْضٍ مِّنْهُم مَّن كَلَّمَ اللّهُ وَرَفَعَ بَعْضَهُمْ دَرَجَاتٍ**﴾[سورة البقرة:٢٥٣]. (البقرة ٢٥٣). وخصّ بني اسرائيل بأن أنعم عليهم، وفضّلهم على الخلق، ﴿**وَلَقَدْ آتَيْنَا بَنِي إِسْرَائِيلَ الْكِتَابَ وَالْحُكْمَ وَالنُّبُوَّةَ وَرَزَقْنَاهُم مِّنَ الطَّيِّبَاتِ وَفَضَّلْنَاهُمْ عَلَى الْعَالَمِينَ**﴾[سورة الجاثية:١٦]، و﴿**يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ اذْكُرُواْ نِعْمَتِيَ الَّتِي أَنْعَمْتُ عَلَيْكُمْ وَأَنِّي فَضَّلْتُكُمْ عَلَى الْعَالَمِينَ**﴾[سورة البقرة:٤٧، ١٢٢]، و﴿**وَإِذْ قَالَ مُوسَى لِقَوْمِهِ يَا قَوْمِ اذْكُرُواْ نِعْمَةَ اللّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ جَعَلَ فِيكُمْ أَنبِيَاء وَجَعَلَكُم مُّلُوكاً وَآتَاكُم مَّا لَمْ يُؤْتِ أَحَداً مِّن الْعَالَمِينَ**﴾[سورة المائدة:٢٠].

غير انَّ القرآن يكشف عن أن اليهود -في أخر سيرتهم الدينيَّة إبّان عصر النبوات- قد غضب الله عليهم، ووصمهم بالذلّة؛ لشدة عصيانهم الله وقتلهم الأنبياء ﴿**ضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ الذِّلَّةُ أَيْنَ مَا ثُقِفُواْ إِلاَّ بِحَبْلٍ مِّنْ اللّهِ وَحَبْلٍ مِّنَ النَّاسِ وَبَآؤُوا بِغَضَبٍ مِّنَ اللّهِ وَضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ الْمَسْكَنَةُ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ كَانُواْ يَكْفُرُونَ بِآيَاتِ اللّهِ وَيَقْتُلُونَ الأَنبِيَاءَ بِغَيْرِ حَقٍّ ذَلِكَ بِمَا عَصَوا وَّكَانُواْ يَعْتَدُونَ**﴾[سورة آل عمران:١١٢]. وأنّهم انتهجوا التحريف في الدين: ﴿**مِّنَ الَّذِينَ هَادُواْ يُحَرِّفُونَ الْكَلِمَ عَن مَّوَاضِعِهِ وَيَقُولُونَ سَمِعْنَا وَعَصَيْنَا وَاسْمَعْ غَيْرَ مُسْمَعٍ وَرَاعِنَا لَيّاً بِأَلْسِنَتِهِمْ وَطَعْناً فِي الدِّينِ**﴾[سورة النساء: ٤٦].

أما علاقة اليهود بالإسلام في العصر المدنيّ، فقد بدت على تقارب دِينيّ، وتعاون إداري، أنتج توقيع معاهدة المدينة، الا انَّ النفوس اختلفت، والمصالح تأجّجت، وأنّ الجدل ومحاولات الإقناع الدينيّ قد فشلت، فقد نقضوا العهد: ﴿**الَّذِينَ عَاهَدتَّ مِنْهُمْ ثُمَّ يَنقُضُونَ عَهْدَهُمْ فِي كُلِّ مَرَّةٍ وَهُمْ لاَ يَتَّقُونَ**﴾[سورة الأنفال:٥٦]، من بعد أنْ كانت قبلةُ الدِينيّن واحدة، هي بيت المقدس، اتخذ المسلمون البيت الحرام قبلةً لهم، وتفرّقت التوجهات العبَاديّة، وبات من الصعب اقناعهم بالدين الجديد، وتغلّقت أبواب الحوار: ﴿**وَلَئِنْ أَتَيْتَ الَّذِينَ أُوْتُواْ الْكِتَابَ بِكُلِّ آيَةٍ مَّا تَبِعُواْ قِبْلَتَكَ وَمَا أَنتَ بِتَابِعٍ قِبْلَتَهُمْ وَمَا بَعْضُهُم بِتَابِعٍ قِبْلَةَ بَعْضٍ**﴾[سورة البقرة:١٤٥].

ثم أنَّ هذا المناخ المشحون نشر أنواءه على العلاقة بين اليهود والمسلمين، فاليهود وطَّدوا علائقهم بالمشركين، وتحالفوا معهم من الداخل على المسلمين، وظهر بوادر المساندة المعلوماتية جليًا في معركة الخندق (٥هـ/ ٦٢٧م)، مما صعَّد وتيرة العداء، وعبَّر عنه القرآن: ﴿**لَتَجِدَنَّ أَشَدَّ النَّاسِ عَدَاوَةً لِّلَّذِينَ آمَنُواْ الْيَهُودَ وَالَّذِينَ أَشْرَكُواْ**﴾[سورة المائدة:٨٢]. وتوصل الحال الى محاولات التغيير العقديّ: ﴿**وَدَّ كَثِيرٌ مِّنْ أَهْلِ الْكِتَابِ لَوْ يَرُدُّونَكُم مِّن بَعْدِ إِيمَانِكُمْ كُفَّاراً حَسَداً مِّنْ عِندِ أَنفُسِهِم مِّن بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمُ الْحَقُّ فَاعْفُواْ وَاصْفَحُواْ حَتَّى يَأْتِيَ اللّهُ بِأَمْرِهِ**﴾[سورة البقرة:١٠٩].

أما "الربانيون"[٤٨] و"الأحبار" فهم فقهاء وعلماء اليهود، ويتبين من القرآن الكَريم[٤٩] انّه قد كان لهم نفوذ عظيم على اليهود، فكانوا يطيعون أوامرهم ويفعلون ما يأمرونهم به. وبعض هؤلاء الأحبار هم من المقيمين في جزيرة العرب في المواطن التي أقامت فيها يهود[٥٠].

أما المسيح[٥١]، والنصرانية[٥٢] في القرآن فلها مساحة ملحوظة، ويعد القران من المصادر القديمة في التراث الدِينيّ المَسيحيّ، فقد ذكر المسيح في ٣١ آية، وكان يسميه: "عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ "[٥٣] في ١٦ آية، وأمه مريم في ٣١ آية،

وافرد باسم "مريم" سورة (رقم ١٩) وهي مكيّة، وسورة باسم آل عمران (رقم ٣) وهي مدنية، وأورد "النصارى" في ١٤ آية، وذكر الرهبان[٥٤] والقسيسين[٥٥].

دأب القرآن -في وقت مبكر جدا من تاريخ الإسلام- على تأسيس العلاقة المبكرة السمحة بين المسلمين وأهل الكتاب، فإذا قيل: ان السور ذات العلاقة بأهل الكتاب في العهد المدني، قد يشوبها المنحى السِياسِيّ لدولة الإسلام الفتية في علاقتها معهم، فإن السور المكية تبقى كفيلة بنشر صورة صافية لتأصيل العلاقة الطيبة بين الديانات الكتابيَّة، ولَاسِيّمَا مع المَسِيحِيّين، كثقافة أو عقيدة، فمن السور المكيّة:

١ - سورة (مريم) وهي مكيّة، وفي هذه السورة: تعريف بمعجزة حمل وميلاد عيسى، وتأصيل عقديّ منهجيّ لها: **﴿وَاذْكُرْ فِي الْكِتَابِ مَرْيَمَ إِذِ انتَبَذَتْ مِنْ أَهْلِهَا مَكَاناً شَرْقِيّاً... ذَلِكَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ قَوْلَ الْحَقِّ الَّذِي فِيهِ يَمْتَرُونَ﴾**[سورة مريم:١٦-٣٤]. وفي ثنايا تأصيل معجزة حمل المسيح وميلاده: براءة قاطعة لأمّه مريم البتول، وشهادة بطُهْرِها. فالمعجزة كلها: بحكمة الله وعلمه وإرادته وقدرته المطلقة، وفي ذلك نقض تام لافتراءات المفترين عليها. من هنا، يجدر القول إنّ معجزة حمل المسيح وميلاده، عقيدة أسّسها القرآن، وأصّلها في صدور المسلمين بادئ ذي بدء.

٢ - سورة (الكهف): مكّيّة، وفي صدرها قصة أصحاب الكهف، وهم فِتْيَة نصارى تعرّضوا للأذى والاضطهاد[٥٦]، فدافع القرآن عنهم، وكرّمهم واحتفى بهم، وانتصر لمنهجهم، وقد سُمِّيت السورة نفسها باسم كهفهم: **﴿أَمْ حَسِبْتَ أَنَّ أَصْحَابَ الْكَهْفِ وَالرَّقِيمِ كَانُوا مِنْ آيَاتِنَا عَجَباً﴾**[سورة الكهف:٩].

٣ - سورة (البروج): مكّيّة، ولقد انتظمت في شأن جماعة -بحسب قول علي بن ابي طالب[٥٧] من أهل كتاب، من نصارى نجران، عُرِضُوا على فنون العذاب، منها النار في الأخدود، على أنْ يغيّروا دينهم فأبوا، ورضوا

بالشهادة؛ خلّد القرآن ذكرهم، ووصفهم بالمؤمنين، وقبّح مضطهديهم ومعذبيهم[٥٨]: ﴿قُتِلَ أَصْحَابُ الْأُخْدُودِ ❖ النَّارِ ذَاتِ الْوَقُودِ إِذْ هُمْ عَلَيْهَا قُعُودٌ ❖ وَهُمْ عَلَى مَا يَفْعَلُونَ بِالْمُؤْمِنِينَ شُهُودٌ ❖ وَمَا نَقَمُوا مِنْهُمْ إِلَّا أَنْ يُؤْمِنُوا بِاللَّهِ الْعَزِيزِ الْحَمِيدِ﴾ [سورة البروج:٤-٨].

٤ـ سورة (المدثر) هي السورة الثانية في ترتيب النزول، أي نزلت بعد سورة (العلق) أو (اقرأ)، وفيها ﴿لِيَسْتَيْقِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ، وَيَزْدَادَ الَّذِينَ آمَنُوا إِيمَاناً، وَلَا يَرْتَابَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ وَالْمُؤْمِنُونَ﴾[سورة المدثر:٣١]. وفي هذا النص "إيمان مشترك" بين المسلمين وأولي الكتاب: إيمان وتسليم بـ (الغيب) الذي جاء القرآن، ليثبته، ويزيده عند أولي الكتاب، وعند المسلمين. فهي هنا تؤكد إنَّ التنويه بالعلاقة بين المسلمين وأهل الكتاب سطع في بدايات تنزيل القرآن[٥٩].

من هنا تتجلّى مقاربة: انَّ القرآن المكّيَّ الذي أسس لعلاقة طيبة مع المَسيحيّين لم يُنسخ، بدليل انَّ القرآن المدني قد أكّد القرآن المكي وعززه؛ إذا ما أخذنا بالمشهور: انّ سورة (المائدة) هي آخر القرآن نزولا، وفيها نقرأ: ﴿لَتَجِدَنَّ أَشَدَّ النَّاسِ عَدَاوَةً لِّلَّذِينَ آمَنُواْ الْيَهُودَ وَالَّذِينَ أَشْرَكُواْ، وَلَتَجِدَنَّ أَقْرَبَهُمْ مَّوَدَّةً لِّلَّذِينَ آمَنُواْ الَّذِينَ قَالُوَاْ إِنَّا نَصَارَى، ذَلِكَ بِأَنَّ مِنْهُمْ قِسِّيسِينَ وَرُهْبَانا، وَأَنَّهُمْ لاَ يَسْتَكْبِرُونَ﴾[سورة المائدة:٨٢]. فالمسيح من الرسل المفضلين عند الله وأيده بروح القدس ﴿تِلْكَ الرُّسُلُ فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَى بَعْضٍ مِّنْهُم مَّن كَلَّمَ اللّهُ وَرَفَعَ بَعْضَهُمْ دَرَجَاتٍ وَآتَيْنَا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ الْبَيِّنَاتِ وَأَيَّدْنَاهُ بِرُوحِ الْقُدُسِ﴾[سورة البقرة:٢٥٣]. وله فرادة في الخلق، فهو أشبه بآدم، وهو ثاني اثنين ﴿إِنَّ مَثَلَ عِيسَى عِندَ اللّهِ كَمَثَلِ آدَمَ خَلَقَهُ مِن تُرَابٍ ثِمَّ قَالَ لَهُ كُن فَيَكُونُ﴾[سورة آل عمران: ٥٩].

أورد معجزات المسيح، لتأكيد أهميتها، منفصلة تارة في سور وآيات عدّة، وتارة في آية حوارية بين الله والمسيح: ﴿إِذْ قَالَ اللّهُ يَا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ

اذْكُرْ نِعْمَتِي عَلَيْكَ وَعَلَى وَالِدَتِكَ إِذْ أَيَّدتُّكَ بِرُوحِ الْقُدُسِ تُكَلِّمُ النَّاسَ فِي الْمَهْدِ وَكَهْلاً وَإِذْ عَلَّمْتُكَ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَالتَّوْرَاةَ وَالإِنجِيلَ وَإِذْ تَخْلُقُ مِنَ الطِّينِ كَهَيْئَةِ الطَّيْرِ بِإِذْنِي فَتَنفُخُ فِيهَا فَتَكُونُ طَيْراً بِإِذْنِي وَتُبْرِئُ الأَكْمَهَ وَالأَبْرَصَ بِإِذْنِي وَإِذْ تُخْرِجُ الْمَوتَى بِإِذْنِي وَإِذْ كَفَفْتُ بَنِي إِسْرَائِيلَ عَنكَ إِذْ جِئْتَهُمْ بِالْبَيِّنَاتِ فَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُواْ مِنْهُمْ إِنْ هَـذَا إِلاَّ سِحْرٌ مُّبِينٌ﴾[سورة المائدة:١١٠].

ورد في القران ذكر الإنجيل ١٢ مرة[٦٠]، ووصفه بأنه كتاب الله من آيات المسيح فيه نور وحكمة، وهو امتداد للتوراة على هديه، وأنّ فيه هدى وموعظة للمتقين (سورة المائدة: ٤٦)، ودعا اتباعه للحكم بتشريعاته؛ لأَنَّهَا مجزية في اثبات الحقوق (سورة المائدة: ٤٧)، وإذا ما أقاموه أفاض عليهم بركات السماء والأرض (سورة المائدة: ٦٦).

استعمل القرآن مجتمع عيسى (الحواريين) مثالًا في الإخلاص والنُصرة لله، حينما دعا مجتمع مُحَمَّد (المؤمنين) للحذو حذوهم ﴿**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُونوا أَنصَارَ اللَّهِ كَمَا قَالَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ لِلْحَوَارِيِّينَ مَنْ أَنصَارِي إِلَى اللَّهِ قَالَ الْحَوَارِيُّونَ نَحْنُ أَنصَارُ اللَّهِ**﴾[سورة الصف:١٤]. وشبّه مجتمع الرسول مُحَمَّد في موقفهم الثابت أخلاقيا وإيمانيًا بقرين له في الإنجيل ﴿**وَمَثَلُهُمْ فِي الْإِنجِيلِ كَزَرْعٍ أَخْرَجَ شَطْأَهُ فَآزَرَهُ فَاسْتَغْلَظَ فَاسْتَوَى عَلَى سُوقِهِ يُعْجِبُ الزُّرَّاعَ**﴾[سورة الفتح:٢٩]. وصف أتباع المسيح بعلو القيم الإنْسَانيّة: قيمة المعرفة، وقيمة والحق، وقيمة الخير: ﴿**وَقَفَّيْنَا بِعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ وَآتَيْنَاهُ الْإِنجِيلَ وَجَعَلْنَا فِي قُلُوبِ الَّذِينَ اتَّبَعُوهُ رَأْفَةً وَرَحْمَةً وَرَهْبَانِيَّةً ابْتَدَعُوهَا مَا كَتَبْنَاهَا عَلَيْهِمْ إِلَّا ابْتِغَاءَ رِضْوَانِ اللَّهِ**﴾[سورة الحديد:٢٧].

تعدُّ نبوّة عيسى وديانته بيضة الميزان الدينيّ، وحلقة تواصل تاريخيّ لحضارتين: الماضي اليَهُوديّ والمستقبل الإسلامي، فمن آياته بشَّر المسيح بحضارة دِينيَّة في ضوء التَّنوُّع ﴿**وَإِذْ قَالَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ إِنِّي**

رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُم مُّصَدِّقاً لِّمَا بَيْنَ يَدَيَّ مِنَ التَّوْرَاةِ وَمُبَشِّراً بِرَسُولٍ يَأْتِي مِن بَعْدِي اسْمُهُ أَحْمَدُ﴾[سورة الصف:٦].

يمكن استجلاء عدد من القيم التاريخية والدِينيَّة في المنظور القرآني عن المسيح وأمّه مريم التي عُنِيَ بها القرآن، عدًّا ومعنى، أكثر من الأناجيل الأربعة جميعها:

- علوّ قيمة مريم، وهي نذر مُحَرَّرٌ لخدمة الهيكل، في مجتمع يحتقر المرأة، كفالة نبيّ الله زكريّا لها ورزقها الربانيّ في "الهَيْكَل"؛ وعلى إثر العناية الربانيّة بمريم، دعا زكريّا ربّه: أنْ يرزقه بولد، يحمل النبوة بعده، فاستجاب الله (سورة آل عمران: ٣٥-٣٨).

- اصطفاء الله مريم على نساء العالمين، وتطهيرها من الدنس والإثم، وتبتّلها مع العابدين، حتى استحقت أن تكون صاحبة النعمة والهبة الإلَهِيَّة، في حملها بعيسى كلمة الله وروح منه (سورة آل عمران:٤٢-٤٣)

- المحاورة التي جرت بين مريم وبين الملك المبشِّر لها بغلام تحمل به، يكون ذا شأن عظيم. (سورة آل عمران:٤٥-٥٨) وكيفيّة الولادة ومكانها وملابساته واقعيًّا ونفسيًّا (سورة مريم: ٢٢-٢٦).

- التهمة التي واجهت مريم وموقفها من الدفاع وتبرئة الوليد لها (سورة مريم:٢٨-٣٣).

- بيان حقيقة خلق المسيح (سورة آل عمران: ٥٩، سورة النساء:١٧٢) معجزات المسيح، ووظيفة رسالته (سورة آل عمران: ٤٩-٥١).

- تاريخ حياة المسيح من ولادته **﴿فَأَجَاءهَا الْمَخَاضُ إِلَى جِذْعِ النَّخْلَةِ قَالَتْ يَا لَيْتَنِي مِتُّ قَبْلَ هَذَا وَكُنتُ نَسْياً مَّنسِيّاً. فَنَادَاهَا مِن تَحْتِهَا أَلَّا تَحْزَنِي قَدْ جَعَلَ رَبُّكِ تَحْتَكِ سَرِيّاً﴾**[سورة مريم:٢٣-٢٤]، حتى

محاولة قتله والجدل مع اليهود في قتله: ﴿**وَقَوْلِهِمْ إِنَّا قَتَلْنَا الْمَسِيحَ عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ رَسُولَ اللَّهِ وَمَا قَتَلُوهُ وَمَا صَلَبُوهُ وَلَكِن شُبِّهَ لَهُمْ وَأَنَّ الَّذِينَ اخْتَلَفُواْ فِيهِ لَفِي شَكٍّ مِّنْهُ مَا لَهُم بِهِ مِنْ عِلْمٍ إِلاَّ اتِّبَاعَ الظَّنِّ وَمَا قَتَلُوهُ يَقِيناً**﴾[سورة النساء:١٥٧].

مما تقدَّم نتفهّم: لماذا كان القرآن أكثر الكتب السَّماويَّة إحاطة بالتجارب النَبويّة؟، إذ حرص على سرد مفاهيمها الدِينيَّة، وسيرة رموزها، والموازنة فيما بينها أحيانا؛ لتأصيل الوعي الإيمانيّ بواحديّة الإلوهة، وإرساء خلاصاتها القيميَّة في بودقة الإسلام، كآخر ظاهرة نَبويّة تبقى متأصلة في الوعي التاريخيّ. من هنا تتجلى الإجابة عن سؤال: لماذا خصَّ الانبياء الذين ذكرهم بلفظ "مسلم"، وبِخَاصَّةٍ إبراهيم وبنيه، فموسى، ثم المسيح؟. فإنَّ وعاء الإسلام التسليم الروحيُّ والجسديّ لله الواحد، مع الإقرار بتعددية الفضاءات الدِينيَّة.

المبحث الثالث: الجدل والحوار بين الأديان في القرآن:

الإسلام دين الحوار منذ بزوغه، وهو الذي وفَّر الأمن والسلامة لمخالفيه في العقيدة والرأي، ورفع شعار الحريّة الدِينيَّة ﴿**لَكُمْ دِينُكُمْ وَلِيَ دِينِ**﴾[سورة الكافرون:٦]، ودعا الى نظام المشاركة مع وجود الاختلاف في العقيدة، ما دامت الحاكميّة والمرجعية الى الله: ﴿**إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَالَّذِينَ هَادُوا وَالصَّابِئِينَ وَالنَّصَارَى وَالْمَجُوسَ وَالَّذِينَ أَشْرَكُوا إِنَّ اللَّهَ يَفْصِلُ بَيْنَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ**﴾[سورة الحج:١٧].

حفل القرآن بوضع مقاربات تؤسّس لحوار ناجح بين الأديان، ولَاسِيَّمَا أهل الكتاب، ودعا المسلمين الى مجادلتهم بأحسن ما يمكن من أساليب في فن الحوار وأدبيات من دون فرض رأي، أو الغاء الآخر، أو الحكم عليه؛ لأنّ الأمرَ مُرْجَأٌ الى حكم الله، ﴿**ادْعُ إِلِى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَادِلْهُم بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَن ضَلَّ عَن سَبِيلِهِ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ**﴾[سورة النحل:١٢٥].

من أفنان إدارة القرآن التَنوُّع الدِّينيّ، أنّه يدعو المؤمنين الى اتقان فن اجتذاب الآخر، وحواره بأسلوب أفضل ما يليق بالحوار، ويرسم له خارطة الحوار وآليته، إذْ يؤكّد على النقاط المشتركة في الديانات بغية التعارف بينهم على تنوع الثقافات الدينيَّة والأخلاقيَّة والحُقُوقيَّة: ﴿**وَلَا تُجَادِلُوا أَهْلَ الْكِتَابِ إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِلَّا الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْهُمْ وَقُولُوا آمَنَّا بِالَّذِي أُنزِلَ إِلَيْنَا وَأُنزِلَ إِلَيْكُمْ وَإِلَهُنَا وَإِلَهُكُمْ وَاحِدٌ وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ**﴾[سورة العنكبوت:٤٦]. وأقلّ ما يُرجى من مقاربة المشتركات الإقرارُ بدين الآخر:﴿**قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ تَعَالَوْاْ إِلَى كَلَمَةٍ سَوَاء بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلاَّ نَعْبُدَ إِلاَّ اللّهَ وَلاَ نُشْرِكَ بِهِ شَيْئاً وَلاَ يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضاً أَرْبَاباً مِّن دُونِ اللّهِ فَإِن تَوَلَّوْاْ فَقُولُواْ اشْهَدُواْ بِأَنَّا مُسْلِمُونَ**﴾[سورة آل عمران:٦٤].

فالمشتركات العقديَّة بين اليَهُودِيّة المَسيحيَّة والإسلام تتجلَّى في الاعتقاد بإله واحد، خالق السماوات والأرض وكل ما يرى وما لا يرى، وأنّ وجود الله يثبته العقل ويؤكده الوحي، والله عالم الغيب والشهادة، وهو غفور رحيم، محب لعباده، الحميد المجيد[٦١]. ومن أهم المعاني المشتركة بين المَسيحيّين والمسلمين هو الاعتقاد بأنّ الله لم يترك الإنْسَانيّة على حالها عباديًّا، فبعث الرسالات السَّماويَّة بعدة طرائق من الوحي والتكليم، فالمَسيحيّون والمسلمون-على السواء- يُسَمُّون ابراهيم خليل الله، وموسى كليم الله، والمسيح روح الله[٦٢]، ﴿**ولا تحزنوا روح الله القدوس الذي به ختمتم ليوم الفداء**﴾ [رسالة بولس: ٣٠/٤]، وأنّ كانت المَسيحيَّة تُلْبِسُ "روح الله" عددا من الانبياء. ومهما يكن من أمر فأن المَسيحيّين والمسلمين يتّخذون منهم الأسوة الحسنة، والمثال الأعلى في الإيمان والطاعة.

فكما يتشهد المسلمون بـ"أن لا إله الا الله"، يترنم المَسيحيّون بـ"من إلهٌ غير الرب، من صخرة سوى إلهنا" (المزامير١٧/ ٣٢). ومثل: ﴿**وَلَم يَكُن لَّهُ كُفُوًا أَحَدٌ**﴾[سورة الإخلاص:٤]، فهو ﴿**الأول والآخر...**﴾[اشعيا:٤/٤١].

و﴿**ٱللَّهُ لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلۡحَيُّ ٱلۡقَيُّومُ لَا تَأۡخُذُهُۥ سِنَةٞ وَلَا نَوۡمٞ**﴾[سورة البقرة: ٢٥٥]، تشبه ﴿**لأن الله هو القيوم المتين، لا يتعب ولا ينسى**﴾[أشعيا:٢٨/٤٠].

وأقل ما يرجى -من مقاربة المشتركات- الإقرار بدين الآخر، أو تبادل الاعتراف والاحترام: ﴿**قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ تَعَالَوْاْ إِلَى كَلَمَةٍ سَوَاء بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلاَّ نَعْبُدَ إِلاَّ اللّهَ وَلاَ نُشْرِكَ بِهِ شَيْئاً وَلاَ يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضاً أَرْبَاباً مِّن دُونِ اللّهِ فَإِن تَوَلَّوْاْ فَقُولُواْ اشْهَدُواْ بِأَنَّا مُسْلِمُونَ**﴾[آل عمران:٦٤].

نتيجة للحوار بين حُمُس قريش والرسول مُحَمَّد(ص)، الذي كان يتجه الى بوصلة قصر أصحاب الدين الجديد على ترك دينهم والرجوع الى دين الآباء، شرع القرآن على لسان محمّد بدعوة تبادل الإقرار الديني ووجوده الأنطولوجي على ارض الواقع، ﴿**لَكُمْ دِينُكُمْ وَلِيَ دِينِ**﴾[سورة الكافرون:٦]. ولأنّ الإسلام يعترف بحرية التدين والتعبير عنه، فهو يرفض إكراه الدين الأقوى بعزوته للأديان الأخرى التي عَمرت بها الحياة الدينية بنواحيه، فقد أصدر شعارا، صار قانونا في عالم الحريّة الدينيّة، أن يترك الانسان الى اختياره، الا وهو: ﴿**لاَ إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ قَد تَّبَيَّنَ الرُّشْدُ مِنَ الْغَيِّ**﴾[سورة البقرة:٢٥٦]، وأنّ التجربة الذاتيّة هي التي تولّد القناعة والاختيار، ولا تُغني رغبة الآخرين في الأمر شيئا، حتّى ولو كانوا في معيّة الشخص ومن متعلقيه، إلّا أنّه لا يحق انْ يفرض عليهم اعتقاد، تحت عنوان عاطفي، فقد خاطب القرآن الرسول محمّد: ﴿**إِنَّكَ لَا تَهْدِي مَنْ أَحْبَبْتَ وَلَكِنَّ اللَّهَ يَهْدِي مَن يَشَاءُ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ**﴾[سورة القصص:٥٦].

عرض القرآن ألوانا من عدم اقرار الأديان بعضها لبعض على المبدأ الانحصاري، الذي لا يرى إلا نفسه: ﴿**وَقَالَتِ الْيَهُودُ لَيْسَتِ النَّصَارَى عَلَى شَيْءٍ وَقَالَتِ النَّصَارَى لَيْسَتِ الْيَهُودُ عَلَى شَيْءٍ وَهُمْ يَتْلُونَ الْكِتَابَ كَذَلِكَ قَالَ الَّذِينَ لاَ يَعْلَمُونَ مِثْلَ قَوْلِهِمْ فَاللّهُ يَحْكُمُ بَيْنَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فِيمَا كَانُواْ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ**﴾[سورة البقرة:١١٣]. وهنا يحقق القرآن جدارة في فن الإدارة، إذْ

يعرض الإسلام نفسه حلاً وسطاً لتسوية الخلافات بين اليهود والمَسيحيّين، فيؤكد العناصر المشتركة بين الديانتين، وهو قبول المسيح كواحد من أعظم الأنبياء في كل التاريخ البشري، ولكنه ليس الله الإبن(٦٣). بيد أن ظاهرة عدم القبول قد تطبّع على الدين الجديد من لدن الدينيّن المتنازعين ﴿**وَلَن تَرْضَى عَنكَ الْيَهُودُ وَلاَ النَّصَارَى حَتَّى تَتَّبِعَ مِلَّتَهُمْ قُلْ إِنَّ هُدَى اللّهِ هُوَ الْهُدَى**﴾[سورة البقرة:١٢٠]، ولكن هذا لن يمنع الحوار لأجل الاعتراف أو الاقتناع، ما زالت المرجعيّة الى الله وهداه، ولن يقلّل من قيمة دعوى الحوار التي رفعها الإسلام.

وعندما يشتد التجاذب بين اليَهُوديّة والإسلام وتتصاعد الأحداث الى الاحتراب، بين أنْ يستعدي اليهودُ الوثنيينَ على المسلمين، الى أنْ يستشري العداء، في حين تظلّ المَسيحيَّة محافظة على مبادئ المودَّة والسلام مع الأديان، مع ميل للمسلمين كما في هجرة المسلمين الى الحبشة المَسيحيَّة ورعايتها لهم؛ يُلحظ ان القرآن ينتهج اسلوب الموازنة والتقويم بين الديانات: ﴿**لَتَجِدَنَّ أَشَدَّ النَّاسِ عَدَاوَةً لِّلَّذِينَ آمَنُواْ الْيَهُودَ وَالَّذِينَ أَشْرَكُواْ وَلَتَجِدَنَّ أَقْرَبَهُم مَّوَدَّةً لِّلَّذِينَ آمَنُواْ الَّذِينَ قَالُوَاْ إِنَّا نَصَارَى ذَلِكَ بِأَنَّ مِنْهُمْ قِسِّيسِينَ وَرُهْبَاناً وَأَنَّهُمْ لاَ يَسْتَكْبِرُونَ**﴾[سورة المائدة:٨٢].

أدوات الحوار في القرآن: يرتكن الحوار مع الآخر الدينيّ في القرآن الى مقومات كثيرة ، هي:

-الاقرار بما عند الآخر على تنوّعه الديني، بل يلزم الايمان به إذا كان نبويّ الرسالة: في مثل قوله(٦٤): ﴿**قُولُواْ آمَنَّا بِاللّهِ وَمَا أُنزِلَ إِلَيْنَا وَمَا أُنزِلَ إِلَى إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَالأسْبَاطِ وَمَا أُوتِيَ مُوسَى وَعِيسَى وَمَا أُوتِيَ النَّبِيُّونَ مِن رَّبِّهِمْ لاَ نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّنْهُمْ وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ**﴾[سورة البقرة:١٣٦].

-سرد قصصهم ونقل أخبارهم ونشرها وتداولها والاستدلال بها على نحو إيجابي، يسهم في تقريب النفوس، وجعلهم مثالًا للتسامي في معرض الاحتذاء بهم. ﴿**فَلَمَّا أَحَسَّ عِيسَى مِنْهُمُ الْكُفْرَ قَالَ مَنْ أَنصَارِي إِلَى اللَّهِ قَالَ الْحَوَارِيُّونَ نَحْنُ أَنصَارُ اللَّهِ آمَنَّا بِاللَّهِ وَاشْهَدْ بِأَنَّا مُسْلِمُونَ**﴾[سورة آل عمران:٥٢].

-ابداء رأي وسطيّ ييسر عمليّة الحوار ويوازن المسألة المختلف عليها، مثلا انّ المسيح ابن الله عند المسيحيّة، وهو ابن غير شرعي لدى اليهوديّة. نجد أنّ القرآن وقف موقفا تكريسيّا لإصدار رأي ثالث، قد يشكل حلّا للمعضلة، مطبوعا بالإيجابيّة، يمثل وجهة نظر الإسلام، ليس مع بنوّة المسيح لله، ولا مع كونه ابنًا، غير شرعي، في معرض الجدال اليَهُوديّ المَسيحيّ، بل هو مخلوق أشبه بآدم بأبجديّة الخلق: ﴿**إِنَّ مَثَلَ عِيسَى عِندَ اللَّهِ كَمَثَلِ آدَمَ خَلَقَهُ مِن تُرَابٍ ثُمَّ قَالَ لَهُ كُن فَيَكُونُ**﴾[سورة آل عمران:٥٩]. غير أنّه لم ينقص من قيمته بل منحه الفرادة في هذا النوع من الخلق باليد الإلَهيَّة في كونه ثانيا، ولم يسجِّل تاريخ التكوين ثالثا مثله.

- إعلان رأيه الأخير من بعد أنْ يستعرض آراء الآخرين، مستفيدا من الموازنة التاريخيَّة أو المنطق العقليّ، ويكون على الأغلب رأيًا، ﴿**وَقَالُواْ كُونُواْ هُوداً أَوْ نَصَارَى تَهْتَدُواْ قُلْ بَلْ مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفاً وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ**﴾ (البقرة:١٣٥).

اضطلع القرآن بالمسؤولية الإلَهيَّة في واقع التَّنوُّع الدِّينيّ تاريخيًا وموضوعيًا، ولَاسيّمَا تَنوُّع الديانات النَبويّة وإرسال الرسل، ورفعها عن كاهل المجتمعات، حتى يخفف من وطأة أثرها وعواقبها فيما بينهم، في مثل قوله: ﴿**ثُمَّ قَفَّيْنَا عَلَى آثَارِهِم بِرُسُلِنَا وَقَفَّيْنَا بِعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ**﴾[سورة الحديد:٢٧]. ويُحيل مقاربة التَّنوُّع إلى حقيقة عقليّة وإيمانيّة، لأنّ ما تأتي به الرؤيا المطلقة يختلف في الأسباب والنتائج والأثر عمّا يأتي به الناس او بعضُهم، أي ما يصدر عن

إرادة السماء يمكن أنْ يلقى قبولًا وقد ينظر اليه بعين الطاعة:﴿**وَمَا أَرْسَلْنَا مِن رَّسُولٍ إِلاَّ لِيُطَاعَ بِإِذْنِ اللّهِ**﴾[سورة النساء:٦٤]، على خلاف ما يخرج عن رأي مجموعة من الناس، فإنّه أقرب الى الرد وتأجيج الاختلاف، لوجود الحسد والنفاسة وتضاد الأهواء بين الناس او المجموعات في المجتمع الواحد.

من مرتكزات الإدارة محاولة علاج الأزمة، وتخفيف حدتها، فالأزمة التي أدَّت الى كراهيَّة تاريخيَّة بين اليَهُودِيّة والمَسِيحِيَّة، كانت قد انبثقت من صَلْب يسوع المسيح على يد اليهود، فاليهود يفخرون بصلبه، والمسيحيون وضعوا ظاهرة الصلب بين أعينهم عبر التاريخ، وفي وعيهم الدينيّ، وجعلوه من الرموز التكريسيّة التأهيليّة للقدسيّة الدينيّة، وأخذوا يستلهمون الشعور بالذنب أو كادوا في فلسفتهم. بيد أننا نلحظ أنَّ القرآن يتحمل مسؤولية إدَارَة المرحلة، ويخرج بمقاربة جديدة تسهم في تخفيف حدّة النزاع، إذْ نقلت الصَلب من الحقيقة الى التشبيه، اي من الجُرْم اليقينيّ الى الجُرم الظنيّ، ﴿**وَقَوْلِهِمْ إِنَّا قَتَلْنَا الْمَسِيحَ عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ رَسُولَ اللّهِ وَمَا قَتَلُوهُ وَمَا صَلَبُوهُ وَلَكِن شُبِّهَ لَهُمْ وأَنّ الَّذِينَ اخْتَلَفُواْ فِيهِ لَفِي شَكٍّ مِّنْهُ مَا لَهُم بِهِ مِنْ عِلْمٍ إِلاَّ اتِّبَاعَ الظَّنِّ وَمَا قَتَلُوهُ يَقِيناً**﴾[سورة النساء:١٥٧].

ثمَّة إشارة الى معطيات تاريخية تؤكد أنَّ الله ينصر رسلَه في الحياة الدنيا على اعدائهم، كما نصَّت عليه آيات القرآن، وأنّ إنكار صلب المسيح يمنح المسيح نفسه الظفر والنصر في المواجهة مع قومه، وتاليًا يعطي القوَّة والصلابة وديمومة الانتصار للرسول مُحَمَّد(ص)، ويؤكد استمرارية الدعم الإلَهِيّ له في مجتمع التنوع الدِينِيّ.

هنا يؤدي دور الوسيط القوي الذي يساعد على تخفيف الأزمة لدى الطرفين المتنازعين، وينزع منهما روح الكراهية التي اتسعت دائرتها تاريخيًّا بين المجتمعين، ويجعل امكانية التقارُب والتسامُح بينهما متاحة، ومن ثم يكونا في معرض الاجتذاب الى مركز المساعدة دين الإسلام في ادارته التي أرست

نظرية وسطيَّة الأمَّة: ﴿وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطاً لِّتَكُونُواْ شُهَدَاء عَلَى النَّاسِ وَيَكُونَ الرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيداً﴾[سورة البقرة:١٤٣].

يستعمل القرآن- أحيانا- التذكير بعُمق الصلات بين المختلفين، ليشعرهم انّ بعضهم امتداد لبعض في الإيحاء الديني، ﴿وَقَفَّيْنَا عَلَى آثَارِهِم بِعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ مُصَدِّقاً لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ التَّوْرَاةِ وَآتَيْنَاهُ الإِنجِيلَ فِيهِ هُدًى وَنُورٌ وَمُصَدِّقاً لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ التَّوْرَاةِ وَهُدًى وَمَوْعِظَةً لِّلْمُتَّقِينَ﴾[سورة المائدة:٤٦]. ثم يوظف عنصر الاطراء الذي يعدُّ مهمًّا في التقريب بين الفئتين المختلفتين: ﴿وَقَفَّيْنَا بِعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ وَآتَيْنَاهُ الْإِنجِيلَ وَجَعَلْنَا فِي قُلُوبِ الَّذِينَ اتَّبَعُوهُ رَأْفَةً وَرَحْمَةً وَرَهْبَانِيَّةً﴾[سورة الحديد:٢٧]، وكم يرتقي هنا بمجتمع الانجيل في إيمانيته المترجمة اجتماعيًّا الى قيم أخلاقية، تقبل التواصل مع الآخر، وجلُّ ما تقدم يؤدي إلى تحقيق الاجتذاب إلى الطرف الثالث الذي قام بإدارة الاختلاف.

تاليًا يستعمل المجاراة- على سبيل التحضيض- في توظيف المثال التاريخيّ؛ ليخلص الى مقاربة تتجاوز حدود اجتذاب الآخر، واستمالته الى الوقوف معه واسناده ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُونوا أَنصَارَ اللَّهِ كَمَا قَالَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ لِلْحَوَارِيِّينَ مَنْ أَنصَارِي إِلَى اللَّهِ قَالَ الْحَوَارِيُّونَ نَحْنُ أَنصَارُ اللَّهِ فَآمَنَت طَّائِفَةٌ مِّن بَنِي إِسْرَائِيلَ وَكَفَرَت طَّائِفَةٌ فَأَيَّدْنَا الَّذِينَ آمَنُوا عَلَى عَدُوِّهِمْ فَأَصْبَحُوا ظَاهِرِينَ﴾[سورة الصف:١٤].

ثم إنَّه يصف مجتمع النَّبيّ مُحَمَّد بأنَّه متراصٌّ في وقفته ضدَّ الأعداء:﴿مُحَمَّدٌ رَّسُولُ اللَّهِ وَالَّذِينَ مَعَهُ أَشِدَّاء عَلَى الْكُفَّارِ﴾، ومتماسك فيما بينه في العلاقات الاجْتِمَاعِيَّة ﴿رُحَمَاء بَيْنَهُمْ﴾، وفي العلاقة العبَاديّة مع الله ﴿تَرَاهُمْ رُكَّعاً سُجَّداً يَبْتَغُونَ فَضْلاً مِّنَ اللَّهِ وَرِضْوَاناً سِيمَاهُمْ فِي وُجُوهِهِم مِّنْ أَثَرِ السُّجُودِ﴾، لكنَّه لم يكتف بهذا، بل يربطه برابط المَثل في السيسيولوجيا التاريخيّة للدينين الشقيقين، ألا وهو تأكيد الشراكة الإنسانيّة في مجتمعي التوراة

والإنجيل ﴿ذَلِكَ مَثَلُهُمْ فِي التَّوْرَاةِ وَمَثَلُهُمْ فِي الْإِنجِيلِ كَزَرْعٍ أَخْرَجَ شَطْأَهُ فَآزَرَهُ فَاسْتَغْلَظَ فَاسْتَوَى عَلَى سُوقِهِ يُعْجِبُ الزُّرَّاعَ﴾[سورة الفتح:٢٩]؛ ليمنح مجتمع مُحَمَّد قوّةً في مجتمع المشاركة التاريخيّة مع مجتمع موسى وعيسى، ويُمتّن روح المواءمة والمحبّة بين فئات الديانات الكتابيَّة الثلاث، بأنّها من شجرة إنسانيّة واحدة ومعين وَحْيِيّ واحد؛ لذا نجد أنّ الله يَعِدُ مجتمعَ المؤمنين بالمكانة المحمودة ﴿وَعْداً عَلَيْهِ حَقّاً فِي التَّوْرَاةِ وَالإِنجِيلِ وَالْقُرْآنِ﴾[سورة التوبة:١١١]، ويرسم لوحة التواد والتسامح في التاريخ المستقبل الذي سيشتمل عليهم في مجتمع المشاركة. وبوصلة هذا التمتين ملاكها استمدادٌ من الماضي، وتفعيل في الحاضر، وإعداد المستقبل للتعايش السلمي الآمن، والاحترام المتبادل بين أطراف المعادلة الاجْتِمَاعِيّة والدِينِيَّة.

من أسمى آيات الإقرار بالآخر اليَهُودِيّ فالمَسِيحِيّ، أنَّ القرآن يدعوهم الى الثبات على وجودهم القيميّ في التزامهم بكتبهم المُنْزَلة من الله ﴿قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لَسْتُمْ عَلَى شَيْءٍ حَتَّى تُقِيمُواْ التَّوْرَاةَ وَالإِنجِيلَ وَمَا أُنزِلَ إِلَيْكُم مِّن رَّبِّكُمْ﴾[سورة المائدة:٦٨]، وأنّ القرآن يشهد انّ ما لديهم من كتاب التوراة هو مصدر التحكيم الأول في تاريخ الديانة الكتابيَّة: ﴿وَكَيْفَ يُحَكِّمُونَكَ وَعِندَهُمُ التَّوْرَاةُ فِيهَا حُكْمُ اللّهِ﴾[سورة المائدة:٤٣]، ومرجع حكم النَّبِيّين والصالحين على تنوُّعهم، ﴿إِنَّا أَنزَلْنَا التَّوْرَاةَ فِيهَا هُدًى وَنُورٌ يَحْكُمُ بِهَا النَّبِيُّونَ الَّذِينَ أَسْلَمُواْ لِلَّذِينَ هَادُواْ وَالرَّبَّانِيُّونَ وَالأَحْبَارُ بِمَا اسْتُحْفِظُواْ مِن كِتَابِ اللّهِ وَكَانُواْ عَلَيْهِ شُهَدَاء﴾[سورة المائدة:٤٤]، وفضلا عن كونه مُنْزلًا من الله، فهو مستحفظٌ في صدور الصالحين، فالقرآن حفظ عدداً من قيم التوراة الإيمانيّة والتاريخيّة؛ لتكون عبرة وشاهداً تسهم في التقارب النفسيّ والاجْتِمَاعِيّ في معرض الاختلاف.

في مقاربة تستشرف مستقبل التنوع، وتنقل الذهن الدِينِيّ- عبر المسار التاريخي- الى توسيع دوائر التنوّع الدِينِيّ بالإقرار النَبَوِيّ من لدن المسيح(ع)

برسالة مُحمَّد(ص)، ﴿وَإِذْ قَالَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُم مُّصَدِّقاً لِّمَا بَيْنَ يَدَيَّ مِنَ التَّوْرَاةِ وَمُبَشِّراً بِرَسُولٍ يَأْتِي مِن بَعْدِي اسْمُهُ أَحْمَدُ﴾[سورة الصف:٦]، وفضلًا عن كونها تزيد إعجازًا الى ثَبْت مُعجزات المسيح بحسب القران(٦٥)، أنَّهَا تسهم في إضفاء التقارب الروحيّ بين الديانات النَبويّة والاستعداد النفسيّ لتكامل الحضارات الدينيَّة.

لم تكمن الفرادة القرآنيّة في فهم التنوّع الديني على مستوى النظريّة، فحسب، بل تمَّ تحويلها الى تطبيق، تجسده سنة الرسول محمد: ﴿تَعَالَوْا إِلَى كَلِمَةٍ سَوَاءٍ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ﴾، و﴿عَالَوْا نَدْعُ أَبْنَاءَنَا وَأَبْنَاءَكُمْ﴾ كما في رواية المباهلة بين الرسول محمد ومسيحيّ نجران.

استعمل القران المشتركات الدينيَّة والأخلاقية لرسم خط تنتظم فيه الديانات، ولَاسيّمَا السَّماويَّة منها على اتجاه بوصلة الألوهة المرسلة للنبيين، بهدف نسج فَرْشَة تعارف وتقارب، كخطوة الى إدَارَة التَنوُّع ، في اعداد وحدة شعور مشترك في الأصول العبَاديّة والنشأة: ﴿قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ تَعَالَوْا إِلَى كَلِمَةٍ سَوَاءٍ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلاَّ نَعْبُدَ إِلاَّ اللّهَ وَلاَ نُشْرِكَ بِهِ شَيْئاً وَلاَ يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضاً أَرْبَاباً مِّن دُونِ اللّهِ فَإِن تَوَلَّوْاْ فَقُولُواْ اشْهَدُواْ بِأَنَّا مُسْلِمُونَ﴾[سورة آل عمران:٦٤] (٦٦).

-الحاجة الفطرية الى الدين ﴿فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفاً فِطْرَةَ اللَّهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ اللَّهِ ذَلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ﴾[سورة الروم:٣٠].

-وحدة التشريع: ﴿شَرَعَ لَكُم مِّنَ الدِّينِ مَا وَصَّى بِهِ نُوحاً وَالَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ وَمَا وَصَّيْنَا بِهِ إِبْرَاهِيمَ وَمُوسَى وَعِيسَى أَنْ أَقِيمُوا الدِّينَ وَلَا تَتَفَرَّقُوا﴾[سورة الشورى:١٣].

-الوحي(٦٧) لغة الله في بثِّ المنظومات العبَاديّة الى صدور الانبياء: ﴿إِنَّا أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ كَمَا أَوْحَيْنَا إِلَى نُوحٍ وَالنَّبِيِّينَ مِن بَعْدِهِ وَأَوْحَيْنَا إِلَى إِبْرَاهِيمَ

وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَالأَسْبَاطِ وَعِيسَى وَأَيُّوبَ وَيُونُسَ وَهَارُونَ وَسُلَيْمَانَ﴾[سورة النساء:١٦٣].

-الميثاق: ﴿وَإِذْ أَخَذْنَا مِنَ النَّبِيِّينَ مِيثَاقَهُمْ وَمِنكَ وَمِن نُّوحٍ وَإِبْرَاهِيمَ وَمُوسَى وَعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ وَأَخَذْنَا مِنْهُم مِّيثَاقاً غَلِيظاً﴾[سورة الأحزاب:٧].

-الكتاب ووحدة التنزيل:﴿نَزَّلَ عَلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ مُصَدِّقاً لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ وَأَنزَلَ التَّوْرَاةَ وَالإِنجِيلَ﴾[سورة آل عمران:٣].

خاتمة:

خلص البحث الى أن القرآن نقل أمَّة من مبتدأ الحضارة الي أوج المدنيّة والدولة، وأعزَّها في اعتماد حرفِها الشماليّ الجميل، وأضحى دستوراً لثاني أكبر الحضارات الدِينيَّة في العالم. يعزو البحث هذا التنامي السريع والكبير الى بضع نتائج:

- تألق فرادة القرآن، ومحاولته فهم التجارب الدِينيَّة، وتوظيف الوعي التاريخي، واستثمار القيم الأخلاقيّة الناتجة عنه في اجتذاب الآخر الدِينيّ وإقناعه في الشراكة الإيمانية، والحاجة للألوهيّة.

- إنَّ مقاربة: ﴿ لَكُمْ دِينُكُمْ وَلِيَ دِينِ﴾ استوعبت التَّنوّع على أنّه تعدُّد لا يقبل أن يكون واحدا، ولا ينحصر في الواحد، بل ملاكه الاعتراف ببداهة "المُؤتلَف والمُختلَف" في الثقافات، والديانات، واللغات، والتجارب البشريّة؛ لتشكّلَ خارطة طريق، يؤطرها التفاعل الاجتماعيّ المتمثل في التسامح مع الآخرين، والتعايش المثمر.

- إنَّ مقاربة الدين للجميع، وأنّ ﴿لاَ إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ﴾ جاءت ساطعة في إدارة التَّنوُّع الدِّينيّ، إذ تُطَمْئِن الآخر أنْ لا تُصيبه بائِقَةٌ، ولا ضَرر ولا ضِرار.

- جاهر القرآن بفتح حوار صحيّ بين الأديان، تفاديًا للمشكلات الحاصلة نتيجة اختلاف القراءات والتفسيرات، او التَّماس في الممارسات:﴿قُلْ

يَا أَهْلَ الْكِتَابِ تَعَالَوْاْ إِلَى كَلَمَةٍ سَوَاء بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلاَّ نَعْبُدَ إِلاَّ اللّهَ وَلاَ نُشْرِكَ بِهِ شَيْئاً وَلاَ يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضاً أَرْبَاباً مِّن دُونِ اللّهِ فَإِن تَوَلَّوْاْ فَقُولُواْ اشْهَدُواْ بِأَنَّا مُسْلِمُونَ﴾[سورة آل عمران:٦٤].

- أقرّ القرآن بالوجود الإيماني للديانات المشهورة في محيطه الأول، سواء كانت سماويّة أم أرضيّة، من يَهُوديّة ومَسيحيَّة وصابئية ومجوسية ووَثَنيَّة، ورفض أن يكون الحكم الفصل في أفضليتها للإنسان، بل لله الخالق يوم القيامة.

- آمنَ القرآن بالديانات السَّماويَّة ورسلها وكتبها، ودعا المسلمين للاعتقاد بها في منطق العدالة، من دون تفريق بينها، وعدَّها من شرائط الإيمان في الإسلام، وأخبر انَّ من يكفر بها يكون في ضلال بعيد.

- ناصرَ الديانات الرساليّة على حساب الشرك والوَثَنيَّة، وعرضَ حلولًا لما اجترح من مشكلات بين اليَهُوديّة والمَسيحيَّة، وبين اليهود أنفسهم، ودعاهم إلى الرجوع الى كتبهم، وتلمُّس القيم الأخلاقية فيها، كمعياريّة للتعامل الإنساني.

- حثَّ أتباع الشّريعَة على تأصيل العلاقات مع أهل الكتاب، والإفادة من تجاربهم الدِينيَّة تاريخيًّا وأخلاقيًّا، ودعاهم إلى فتح باب الحوار الشفاف معهم، لتأسيس مُناخات من القبول والتسامح والتعايش المتسامي.

- استعمل القرآن في إدَارَة التَّنَوُّع المشتركات الإيمانية بين الأديان، ككلمة "سواء"، وعدَّها حاضنة يطمئن لها الآخر، للارتقاء بمستوى الخطاب الدِينيّ، والتوصل الى قراءات مُثلى لطبيعة التفاهم ومعالم العلاقات المستقبليّة بين الأديان، تأصيلا للحاضرة الدِينيَّة في وجه التنامي اللادِينيّ.

هوامش البحث:

[1] اريك جوفروا مستشرق فرنسي (١٩٥٤-...) معاصر، أستاذ التصوف الإسلامي، يرى: أن الإسلام الأولي، كان كوني النزعة أو منفتحا على الكونية والعالمية، ويستوعب كل الثقافات والحضارات. موسوعة ويكيبيديا (جوفروا).

[2] إريك جوفروا: "التعدد في الإسلام، أو الوعي بالآخرية"، مجلة الأديان، ص٣١-٤٣، مركز الدوحة الدولي لحوار الاديان، العدد صفر، ٢٠٠٩.

[3] مُحَمَّد عمارة: التَعَدُدِيَّة، الرؤية الإِسْلَامِيَّة والتحديات الغربية، (نهضة مصر، القاهرة ١٩٩٧) ص٤.

[4] سروش، السراطات المستقيمة، ص٢٧.

[5] صادق المخزومي: "حول كتاب "من هو الله؟ جواب الأديان الكبرى" مجلة التاريخ والتراث.

[6] البخاري: الصحيح ١/ ١٢.

[7] مُحَمَّد آركون: نحو تاريخ مقارن للاديان التوحيدية، (دار الساقي، بيروت، ٢٠١١) ص٣٣٣.

[8] لا تنتقم ولا تحقد على ابناء شعبك بل تحب قريبك كنفسك. ١٩/ ١٨.

[9] الأزرقي: أخبار مَكّة ١/ ١٣٥، ابن قتيبة: المعارف، ص ٦٣٧.

[10] فرض عليهم بدءاً من القرن الحادي عشر التخصص بمهن معينة؛ ثم صدر عام ١٤٩٢ مرسوم طردهم من إسبانيا في حال عدم اعتناقهم المَسيحِيَّة، الأمر الذي كان فاتحة طرد اليهود من أوروبا برمتها: فطردوا من فيينا سنة ١٤٤١ وبافاريا ١٤٤٢ وبروجيا ١٤٨٥ وميلانو ١٤٨٩ ومن توسكانا ١٤٩٤، وأخذوا يتجهون نحو بولندا وروسيا والإمبراطورية العثمانية،[٣] وعلى الرغم من تحسن أوضاع اليهود مع استقلال هولندا الليبرالية وقيام الثورة الفرنسية إلا أن الحروب بين بولندا وأوكرانيا دمرت نحو ثلاثمائة تجمع يهودي وقتلت كثير منهم في القرن السابع عشر. موسوعة ويكيبيديا (المَسيحِيَّة واليهودية).

[11] التَعَدُدِيَّة في مجتمع اسلامي، ص١١.

(١٢) جمال البنا: حرية الفكر والاعتقاد في الإسلام، (دار الفكر الاسلامي، القاهرة) ص٧.

(١٣) أرنست ترولتش اللاهوتي البروتستانتي: "المَسِيحِيَّة في صفاتها الكونية وتاريخ الأديان" محاضرة ألقاها العام ١٩٠٢. مركز دلتا للابحاث المعمقة http://khitabdelta.org/details.php?id=139&cid=480

(١٤) وجيه قانصو: التعدد الدِينِيّ - واقع يحتاج إلى تفسير، النهار البيروتية، ٢٩- ٠١- ٢٠٠٦.

(١٥) الحضارة العَرَبِيّة، ص١٧.

(١٦) ليكنهاوزن: الإسلام والتَعَدُدِيَّة الدِينِيَّة، ص١٢٧.

(١٧) أحمد الشلبي: مقارنة الأديان ١/ ١٦٨.

(١٨) عن ابي حنيفة. الطوسي: الخلاف، ١٨٥/٣؛ النووي: المجموع ٢٣٨/٩.

(١٩) أحمد الشلبي: مقارنة الأديان ١/ ١٦٩.

(٢٠) ابن هشام السيرة ١٩٧/٣.

(٢١) السهيلي: الروض الآنف ١٦/٢.

(٢٢) سورة المائدة، آية ٤٨.

(٢٣) انظر: سورة آل عمران: ١٨٣؛ وسورة النساء: ١٥٣.

(٢٤) المفصل في تاريخ العرب: ٥٤٤/٦.

(٢٥) جون هَرووود هيك (١٩٢٢- ٢٠١٢)، فيلسوف انكليزي. قدم مساهمات في الثيولوجيا الدينيّة، وفي فلسفة الدين، له كتابات وآراء في ابستمولوجيا الدين والتعدديّة الدينية. موسوعة ويكيبديا.

(٢٦) مختار الاسدي: التَعَدُدِيَّة الدِينِيَّة رؤية إِسْلَامِيَّة، الموسوعة الإِسْلَامِيَّة، ٢٠١٢/١٢/٢٢، http://www.balagh.com/mosoa/pages/tex.php?tid=1067

(٢٧) شفيق جرادي: الحوار الإسلامي المسيحي: التحديات والفرص، موقع ابونا، المركز الكاثوليكي للدراسات والاعلام ١٢/ ٦/ ٢٠١٢.

(٢٨) هشام جعيط: الوحي والقرآن والنبوة (دار الطليعة للطباعة والنشر، بيروت، ٢٠٠٠) ص١٨.

(٢٩) جمال البنا: التَعَدُدِيَّة في مجتمع اسلامي، ص١١.

(٣٠) جاك ريسلر: الحضارة العَرَبِيّة، ص٥٧.

(٣١) عن ابي ذر، قلت يا رسول الله: كم النبيون؟ قال: مائة ألف وأربعة وعشرون ألف نبي. قلت: كم المرسلون منهم، قال: ثلاث مائة وثلاثة عشر. أحمد: المسند ٥٢٦/٥؛ الطبري: تاريخ ٩٥/١؛ الحاكم: المستدرك على الصحيحين ٦٥٢/٢.

(٣٢) ﴿وَتِلْكَ حُجَّتُنَا آتَيْنَاهَا إِبْرَاهِيمَ عَلَى قَوْمِهِ نَرْفَعُ دَرَجَاتٍ مَنْ نَشَاءُ إِنَّ رَبَّكَ حَكِيمٌ عَلِيمٌ ❖ وَوَهَبْنَا لَهُ إِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ كُلًّا هَدَيْنَا وَنُوحًا هَدَيْنَا مِنْ قَبْلُ وَمِنْ ذُرِّيَّتِهِ دَاوُودَ وَسُلَيْمَانَ وَأَيُّوبَ وَيُوسُفَ وَمُوسَى وَهَارُونَ وَكَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ ❖ وَزَكَرِيَّا وَيَحْيَى وَعِيسَى وَإِلْيَاسَ كُلٌّ مِنَ الصَّالِحِينَ ❖ وَإِسْمَاعِيلَ وَالْيَسَعَ وَيُونُسَ وَلُوطًا وَكُلًّا فَضَّلْنَا عَلَى الْعَالَمِينَ﴾[سورة الأنعام: ٨٢-٨٦].

(٣٣) مصطفى مسلم: معالم قرآنية في الصراع مع اليهود، ص٨.

(٣٤) جبرائيل بمعنى الإنسان الإلهي، وميكائيل بمعنى أي إنسان مثل الله. توفيقي: دروس في تاريخ الأديان، ص٢٥٥.

(٣٥) الطبري: تفسير ٣٩٧/١.

(٣٦) الطبري: م. ن. ٣٨٩/١.

(٣٧) إسرائيل ولفنسون: تاريخ اليهود في بلاد العرب في الجاهلية وصدر الإسلام (مطبعة الاعتماد، القاهرة، ١٩٢٧م) ص ١٤٢.

(٣٨) مصطفى مسلم:" معالم قرآنية في الصراع مع اليهود، ص٨.

(٣٩) للمزيد، انظر: مُحَمَّد عزة دروزة: اليهود في القرآن (المكتب الإسلامي، بيروت، لا تاريخ)؛ مُحَمَّد أديب صالح: اليهود في القرآن والسنة (دار الهدى للنشر والتوزيع، الرياض، ١٩٩٣).

(٤٠) كلمة " توراة " مشتقة من الفعل العبري " يرى " بمعنى يعلم أو يرشد أو يرى. كما إنما تعني " وصيّة " أو " ناموس " ولا يقتصر معناها على الشرائع والأحكام، لكنها أسلوب للحياة يستند إلى علاقة العهد بين الله ليتنبأ. وتستخدم الكلمة أصلا للدلالة على أسفار موسى الخمسة. دائرة المعارف الكتابيَّة (توراة).

(٤١) سورة آل عمران: ٣ ،٤٨ ،٥٠، ٦٥، ٩٣؛ سورة المائدة: ٤٣، ٤٤، ٤٦، ٦٦، ٦٨، ١١٠؛ سورة الأعراف: ١٥٧؛ سورة التوبة: ١١١؛ سورة التح: ٢٩؛ سورة الصف: ٦؛ سورة الجمعة: ٥.

(٤٢) هو القانون أو الشريعة، ويستدل به على "ناموس موسى"، و "ناموس عيسى" أي شريعتهما. دائرة المعارف الكتابية (ناموس).

(٤٣) مراثي ٣١: ٩، ١١، ١٢، ٢٤، ٢٦؛ باروك ٣٢: ٤٦؛ راعوت ٨: ٣١، ٣٢، ٣٤؛ ٢ ملوك ١٢: ٥.

(٤٤) وردت "سماك" ابن هشام: السيرة النبوية ٢٠٠/٢، والسهيلي: الروض الآنف ١٧١/٦.

(٤٥) ابن هشام: م. ن. ٢٠٠/٢؛ المفصل في تاريخ العرب ٧٨٨/٩.

(٤٦) سورة البقرة: ١١٣، ١٢٠؛ سورة آل عمران: ٦٧؛ سورة المائدة: ١٨، ٥١، ٦٤، ٨٢؛ سورة التوبة: ٣٠.

(٤٧) سورة البقرة: ٤٠، ٤٧، ٨٣، ١٢٢، ٢١١، ٢٤٦؛ سورة آل عمران: ٤٩، ٩٣؛ سورة المائدة: ١٢، ٣٢، ٧٠، ٧٢، ٧٨، ١١٠؛ سورة الاعراف: ١٠٥، ١٣٤، ١٣٧، ١٣٨، سورة يونس: ٩٠، ٩٣؛ سورة الاسراء: ٢، ٤، ١٠١، ١٠٤.

(٤٨) الربانيون: الفقهاء العلماء وهم فوق الأحبار (الطبري: تفسير ٣٢٦/٣). الرَّبَّانِيُّونَ: أرباب العلم، وأحدهم رباني، وهو الذي يرب العلم، ويرب الناس، أي يعلمهم ويصلحهم ويقوم بأمرهم. (الرازي: التفسير ٩٨/٨). وقيل: هو منسوب إلى الرب، أي الله –تعالى– فالرباني، كقولهم: إلهي، وقيل: رباني ، لفظ في الأصل سرياني. الراغب: المفردات في غريب القرآن ١٨٤/١؛ انظر: الجواليقي: المعرب، ص١٦١؛ القرطبي: التفسير ١٢٢/٤.

(٤٩) سورة آل عمران:٧٩، سورة المائدة: ٦٣، ٤٤، سورة التوبة: ٣٤، ٣١.

(٥٠) جواد علي: المفصل في تاريخ العرب٥٥٢/٦.

(٥١) مأخوذة من الكلمة اليونانية "إفاجيليون" ومعناها "بشارة" أو "خبر طيب"، فالإنجيل إعلان الأخبار المفرحة عن الخلاص، وتستخدم للدلالة على حياة يسوع المسيح وتعاليمه والرسالة التى تكرز بها المَسِيحِيَّة. دائرة المعارف الكتابيَّة (إنجيل).

(٥٢) "النصرانية" و "نصارى" التي تطلق في العَرَبِيّة على أتباع المسيح، من الألفاظ المعربة. يرى بعض المستشرقين أَنَّهَا من أصل سرياني هو: "نصرويوNosroyo "، "نصرايا Nasraya "، ويرى بعض آخر أَنَّهَا من Nazerenes التسمية العبرانية التي أطلقها اليهود على من اتبع ديانة المسيح. وقد وردت في العهد الجديد في "أعمال الرسل"(٢٤ : ٥) على لسان يهود (شيعة الناصريين). ويرى بعض المؤرخين أن لها صلة "بالناصرة" التي كان منها "يسوع" حيث يقال: "يسوع الناصري" وورد في متي: {و اتى و سكن في مدينة يقال لها ناصرة لكي يتم ما قيل بالانبياء انه سيدعى ناصريا} (٢:٢٣)، أو أن لها صلة بـ الناصريين "Nasarenes " احدى الفرق القديمة اليهودية المتنصرة. وقد بقي اليهود يطلقون على من اتبع ديانة المسيح "النصارى"، وبهذا المعنى وردت الكلمة في القرآن الكريم، ومن هنا صارت النصرانية علماً لديانة المسيح عند المسلمين. جواد علي: المفصل في تاريخ العرب ٥٨٢/٦. شحادة بشير: موسوعة الكتاب المقدس (ناصريين).

(٥٣) في انجيل متّى ١: ١٦﴿ويعقوب ولد يوسف رجل مريم التي ولد منها يسوع الذي يدعى المسيح﴾، وينسبه إلى ابراهيم في ٤٢ جيلا. ١:١-١٧.

(٥٤) سورة المائدة: ٨٢، سورة التوبة: ٣١، ٣٤، سورة الحديد: ٢٧.

(٥٥) سورة المائدة: ٨٢.

(٥٦) نقل المؤرخ"جيبون" في تدهور وسقوط الدولة الرومانية": إن الإمبراطور الذي عذَب الفتية السبعة المسيحيين المؤمنين هو "دِقيوس". وقد حكم "دقيوس" الإمبراطورية الرومانية في الحقبة ما بين ٢٤٩ و٢٥١ ميلادية.واشتهرت مدة حكمه بألوان العذاب التي مارسها ضد أتباع النبي عيسى .محمود الدسوقي: "بحث في زمان اهل الكهف"، جريدة الاهرام، عدد ٦٥٢٢، تاريخ ٢٠١١/٤/٢٨.

(٥٧) الطبري: جامع البيان ٢٤/ ٣٣٨.

(٥٨) ذو نواس ودولة حمير اليهودية، وقيل: ابنه يوسف. لزيادة المعلومات عن محرقة الاخدود. انظر: اغناطيوس يعقوب الثالث: الشهداء الحميريون العرب في الوثائق السريانية (طبع المجلة البطريكية، دمشق، ١٩٦٦)؛ مقاتل بن سليمان (ت ١٥٠هـ): التفسير (دار إحياء التراث، بيروت ١٤٢٣هـ).

(٥٩) زين العابدين الركابي: العلاقة بأهل الكتاب، الشرق الأوسط، السبت ٢٥ ذو الحجة ١٤٢٨ هـ/ ٥ يناير ٢٠٠٨، العدد ١٠٦٣٠.

(٦٠) سورة آل عمران: ٣، ٤٨، ٦٥، سورة المائدة: ٤٦، ٤٧، ٦٦، ٦٨، ١١٠، سورة الأعراف: ١٥٧، سورة التوبة: ١١١، سورة الفتح:٢٩، سورة الحديد:٢٧.

(٦١) جورج شحاتة قنواتي: المَسيحيَّة والحضارة العَرَبيّة، ص ١٧- ١٩.

(٦٢) قنواتي: م. ن، ص ٢٠.

(٦٣) ليكنهاوزن: الإسلام والتَعَدُديَّة الدينيَّة، ص١١٨.

(٦٤)﴿قُلْ آمَنَّا بِاللّهِ وَمَا أُنزِلَ عَلَيْنَا وَمَا أُنزِلَ عَلَى إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَالأَسْبَاطِ وَمَا أُوتِيَ مُوسَى وَعِيسَى وَالنَّبِيُّونَ مِن رَّبِّهِمْ لاَ نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّنْهُمْ وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ﴾[سورة آل عمران:٨٤].

(٦٥)﴿إِذ قَالَ اللّهُ يَا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ اذْكُرْ نِعْمَتِي عَلَيْكَ وَعَلَى وَالِدَتِكَ إِذ أَيَّدتُّكَ بِرُوحِ الْقُدُسِ تُكَلِّمُ النَّاسَ فِي الْمَهْدِ وَكَهْلاً وَإِذْ عَلَّمْتُكَ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَالتَّوْرَاةَ وَالإِنجِيلَ وَإِذْ تَخْلُقُ مِنَ الطِّينِ كَهَيْئَةِ الطَّيْرِ بِإِذْنِي فَتَنفُخُ فِيهَا فَتَكُونُ طَيْراً بِإِذْنِي وَتُبْرِئُ الأَكْمَهَ وَالأَبْرَصَ بِإِذْنِي وَإِذْ تُخْرِجُ الْمَوتَى بِإِذْنِي وَإِذْ كَفَفْتُ بَنِي إِسْرَائِيلَ عَنكَ إِذ جِئْتَهُمْ بِالْبَيِّنَاتِ فَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُواْ مِنْهُمْ إِنْ هَذَا إِلاَّ سِحْرٌ مُّبِينٌ﴾[سورة المائدة: ١١٠].

(٦٦) الطوسي: فيمن نزلت هذه الآية ثلاثة أقوال: أحدهما- ذكره الحسن، والسدي، وابن زيد، ومُحَمَّد بن جعفر بن الزبير: أنهم نصارى نجران. والثاني- قال قتادة، والربيع، وابن جريج: أنهم يهود المدينة، وقد روى ذلك أصحابنا. الثالث- ذكره أبو علي الجبائي أنَّها في الفريقين من أهل الكتاب على ظاهر الكلام. التبيان: ٤٨٨/٢.

المصادر والمراجع

❖ القرآن الكريم.

❖ الكتاب المقدس

ـ المـصـادر:

❖ أحمد بن حنبل أبو عبد الله الشيباني (ت٢٤١هـ/٨٥٥م): مسند أحمد، (مؤسسة قرطبة، مصر، د.ت).

❖ الأزرقي، أبو الوليد مُحَمَّد بن عبد الله (ت٢٥٠هـ/٨٦٥م): أخبار مَكّة وما جاء فيها من الأثار، تح: رشدي الصالح ملحس (دار الأندلس للنشر، بيروت، ١٩٩٦م/١٤١٦هـ).

❖ البخاري، مُحَمَّد بن إسماعيل (ت٢٥٦هـ/٨٧٠م) الصحيح (دار الفكر، بيروت).

❖ الحاكم، مُحَمَّد بن عبد الله، ابن البيع النيسابوري (ت٤٠٥هـ/١٠١٤م): المستدرك على الصحيحين (دار الكتب العلمية، بيروت١٤١١-١٩٩٠).

❖ الرازي، فخر الدين، مُحَمَّد الشافعي (٦٠٦هـ/ ١٢١٠م): التفسير الكبير أو مفاتيح الغيب، (دار الكتب العلمية، بيروت،١٤٢١هـ/ ٢٠٠٠م).

❖ الراغب، الاصفهاني، أبو القاسم الحسين بن مُحَمَّد (ت٥٠٢هـ/ ١١٠٨م): المفردات في غريب القرآن، تح: مُحَمَّد سيد كيلاني (دار المعرفة، بيروت).

❖ السهيلي، أبو القاسم عبد الرحمن بن عبد الله بن أحمد (ت ٥٨١هـ/ ١١٨٥م): الروض الأنف في شرح السيرة النبوية لابن هشام، تح: عمر عبد السلام السلامي، (دار إحياء التراث العَرَبِيّ، بيروت، ١٤٢١هـ/ ٢٠٠٠م).

❖ الطبري: أبو جعفر، مُحَمَّد بن جرير (ت٣١٠هـ/ ٩٢٢م):

ـ تاريخ الامم والملوك، ١-٥ (المطبعة الحسينية المصرية).

ـ جامع البيان عن تأويل آي القرآن، (دار الفكر، بيروت، ١٤٠٥هـ).

❖ الطوسي، أبو جعفر، محمد بن الحسن (ت٤٦٠هـ/ ١٠٦٨م):

ـ التبيان في تفسير القرآن، تح: أحمد حبيب العاملي، (مطبعة مكتب الإعلام الإسلامي ١٤٠٩هـ).

ـ الخلاف، مؤسسة النشر الإسلامي التابعة لجماعة المدرسين، قم).
❖ ابن قتيبة، عبد الله بن مسلم (ت٢٧٦هـ/ ٨٨٩م): المعارف، تح: ثروت عكاشة (دار الكتب المصرية ١٩٦٠).
❖ القرطبي، مُحَمَّد بن أحمد بن أبي بكر (ت٦٧١هـ/ ١٢٧٢م): التفسير الجامع لأحكام القرآن والمبين لما تضمنه من السنة آي الفرقان، تح: عبد الله التركي وآخرون، (مؤسسة الرسالة، ١٤٢٧هـ / ٢٠٠٦م).
❖ مقاتل بن سليمان (ت ١٥٠هـ): التفسير (دار إحياء التراث، بيروت، ١٤٢٣هـ).
❖ النووي: المجموع (دار الفكر، بيروت، لا. ت).
❖ ابن هشام، عبد الملك الحميري المعافري، (ت ٢١٣هـ/ ٨٢٩م): السيرة النبوية، تح: مصطفى السقا وإبراهيم الأبياري وعبد الحفيظ الشلبي، (مطبعة مصطفى البابي الحلبي، القاهرة، ١٩٥٥م).

ـ المراجع:

❖ آركون، مُحَمَّد: نحو تاريخ مقارن للاديان التوحيدية، (دار الساقي، بيروت، ٢٠١١)م.
❖ اغناطيوس، يعقوب الثالث: الشهداء الحميريون العرب في الوثائق السريانية (طبع المجلة البطريكية، دمشق، ١٩٦٦):
ـ البنا، جمال: حرية الفكر والاعتقاد في الإسلام، (دار الفكر الاسلامي، القاهرة).
ـ التَعَدُدِيَّة في مجتمع اسلامي، (دار الفكرالإسلامي، القاهرة، لا. ت).
❖ توفيقي، حسين: دروس في تاريخ الأديان، (دار الفكر، بيروت، لا. ت).
❖ جعيط، هشام: الوحي والقرآن والنبوة (دار الطليعة للطباعة والنشر، بيروت، ٢٠٠٠م).
❖ دروزة، مُحَمَّد عزة: اليهود في القرآن (المكتب الإسلامي، بيروت، لا تاريخ).
❖ ريسلر، جاك: الحضارة العَرَبِيَّة، تعريب: خليل أحمد خليل، (منشورات عويدات، بيروت؛ باريس، ١٩٩٣م).

❖ سروش، عبد الكريم، السراطات المستقيمة: قراءة جديدة لنظرية التَعَدُدِيَّة الدِينِيَّة (مؤسسة الانتشار العَرَبِيّ، بيروت ٢٠٠٩).
❖ صالح، مُحَمَّد أديب: اليهود في القرآن والسنة (دار الهدى للنشر والتوزيع، الرياض، ١٩٩٣م).
❖ عليّ، جواد: المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام، (ساعدت جامعة بغداد على نشره، ط٢، ١٩٩٣م).
❖ عمارة، مُحَمَّد: التَعَدُدِيَّة، الرؤية الإِسْلَامِيَّة والتحديات الغربية، (نهضة مصر، القاهرة ١٩٩٧م).
❖ قنواتي، جورج شحاتة: المَسِيحِيَّة والحضارة العَرَبِيّة، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت.
❖ ليكنهاوزن، مُحَمَّد: الإسلام والتَعَدُدِيَّة الدِينِيَّة، ترجمة: مختار الأسدي (مؤسسة الهدى للنشر والتوزيع، طهران، ٢٠٠٠م).
❖ مسلم، مصطفى: معالم قرآنية في الصراع مع اليهود، (دار القلم، دمشق١٩٩٩م).
❖ ولفنسون، إسرائيل: تاريخ اليهود في بلاد العرب في الجاهلية وصدر الإسلام (مطبعة الاعتماد، القاهرة، ١٩٢٧م).

البحوث والمقالات:

❖ الاسدي، مختار: التَعَدُدِيَّة الدِينِيَّة رؤية إِسْلَامِيَّة، الموسوعة الإِسْلَامِيَّة، ٢٠١٢/١٢/٢٢م، http://www.balagh.com/mosoa/pages/tex.php?tid=1067
❖ ترولتش، أرنست اللاهوتي البروتستانتي: "المَسِيحِيَّة في صفاتها الكونية وتاريخ الأديان" محاضرة ألقاها العام ١٩٠٢. مركز دلتا للابحاث المعمقة http://khitabdelta.org/details.php?id=139&cid=480
❖ جرادي، شفيق: الحوار الإسلامي المسيحي: التحديات والفرص، موقع ابونا، المركز الكاثوليكي للدراسات والاعلام ,م12/06/2012
❖ جوفروا، إريك: "التعدد في الإسلام، أو الوعي بالآخرية"، مجلة الأديان، ص٣ ٤٣، مركز الدوحة الدولي لحوار الاديان، العدد صفر، ٢٠٠٩.

❖ الدسوقي، محمود: "بحث في زمان اهل الكهف"، جريدة الاهرام، عدد ٦٥٢٢، تاريخ ٢٠١١/٤/٢٨م.
❖ الركابي، زين العابدين: العلاقة بأهل الكتاب، الشرق الأوسط، السبت ٢٥ ذو الحجة ١٤٢٨ هـ/ ٥ يناير ٢٠٠٨، العدد ١٠٦٣٠.
❖ المخزومي، صادق: "حول كتاب "من هو الله؟ جواب الأديان الكبرى" مجلة التاريخ والتراث.
❖ وجيه قانصو: "التعدد الدِينِيّ: واقع يحتاج إلى تفسير"، النهار البيروتية، ٢٩- ٣- ٢٠٠٦م.

. الموسوعات:

❖ دائرة المعارف الكتابيَّة.
❖ شحادة بشير: موسوعة الكتاب المقدس.
❖ موسوعة ويكيبيديا الحرة.

JOURNAL
of Ash-Sheikh At-Tousy University College

A Refereed Quarterly Journal

First year
No.3

ISSN
2304-9308